فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ رمضان ١٣٣٧ — ١٩ السرطان (ص١) ١٢٩٧ هـ ش ٢٨ يونيو ١٩١٩

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الأزهر شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٠٧) وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ
عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ،
وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ؟ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ
وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ

أمر الله تعالى رسوله فيما قبل هذه الآيات بتبليغ وحيه بالقول والفعل وبالإعراض عن المشركين بمقابلة جحودهم وطعنهم في الوحي بالصبر والحلم، وعلل ذلك بأن من مقتضى سنته في خلق البشر متفاوتي الاستعداد مختلفي الفهم والاجتهاد أن لا يتفقوا على دين، ومن مقتضى هدايته في بعثة الرسل أن يكونوا مبلغين لا مسيطرين، وهادين لا جبارين، فعليهم أن لا يضيقوا ذرعا بحرية الناس في اعتقادهم، فإن خالقهم هو الذي منحهم هذه الحرية ولم يجبرهم على الإيمان إجبارا وهو قادر على ذلك، ثم عطف على هذا الإرشاد النهي عن سب آلهتهم، وطلب بعضهم للآيات وحقيقة حالهم فيها فقال:

﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ أي ولا تسبوا أيها المؤمنون معبوداتهم التي يدعونها من دون الله لجلب النفع لهم أو دفع الضر عنهم، بوساطتها وشفاعتها عند الله لهم، فيترتب على ذلك سبهم لله سبحانه وتعالى عدوا أي تجاوزا عن الحق إلى الباطل من غير علم بذلك، أو تجاوزا منهم في السباب والمشاتمة التي يغيظون بها المؤمنين إلى سبه بغير علم منهم أن ذلك يكون سبا له سبحانه لأنهم وهم مؤمنون بالله لا يتعمدون سبه ابتداء عن روية وعلم، بل يسبونه بوصف لا يؤمنون به كسبهم لمن أمر النبي (ص) بتحقير آلهتهم ولمن يقول إنها لا تشفع ولا تنفع، أو يقولون قولا يستلزم سبه بحيث يفهم ذلك منهم وإن لم يعلم ذلك القائل — وهذا مما يجب اجتناب سبه حتى على القول بأن لازم المذهب ليس بمذهب - أو يقابلون الساب لمعبودهم بمثل سبه يريدون محض المجازاة فيتجاوزونها كما يقع كثيرا من المختلفين في الدين والمذهب: يسب نصراني نبي مسلم فيسب المسلم نبيه ويريد عيسى (عليهما الصلاة والسلام) ويسب شيعي بلاحي سنيا ويماريه أبا بكر فيسب عليا (رضي الله عنهما) والأول يعلم أن سب عيسى كفر كسب محمد (ص)، والثاني يعلم أن سب علي فسق كسب أبي بكر (رض). ومثل هذا يقع كثيرا، بل كثيرا ما يتساب اثنان من أهل دين واحد يسب أحدهما دين الآخر أو معبوده فيقابله بمثل سبه، يغيظه سب أبيه مضافا إليه ويعده إهانة له فيسبه مضافا إلى أخيه إهانة لأخيه، وهذا كله من حب الذات والجهل الحامل على المعاقبة على الجريمة بارتكابها عينها فيهين والده المعظم عنده ومعبوده الذي هو أعظم منه لحيا لنفسه وعصبية لها. وقد جاء في الصحيحين عن عبد الله بن

عمرو مرفوعا « من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال « يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه »

فالمراد بالعلم المنفي على هذا العلم الحضوري الباعث على العمل وهو ارادة السب التي يقصد بها اهانة المسبوب. فان الساب هنا لا يتوجه قصده الا الى اهانة مخاطبه الذي سبه. ويجوز أن يراد بالعلم المنفي اعتقاد الساب أن خصمه لا يعبد الله تعالى بل يعبد إلها آخر لانه يصف معبوده بما لا يصح أن يوصف به الله تعالى عنده، وقد ثبت عن بعض المختلفين في الاديان وفي مذاهب الدين الواحد وصف ربهم وإلههم بصفات ورب خصومهم وإلههم بصفات تناقضها أو تضادها، كما يقول مثبتو الصفات ونفاتها بعضهم في بعض، ويمكن التمثيل لهذا باختلاف الاشعرية والمعتزلة في مسألة ارادة الله تعالى الشر والكفر وعدمها، فقد يزعم كل منهما فيه فيزعم أن إلهه غير إله مخالفه، وقد نقل عن اثنين من أكابر علمائهم أنهما التقيا فقال المعتزلي: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الاشعري سبحان من لا يقع في ملكه الا مايشاء، أي ومنه الفحشاء، فلا يبعد أن يعبر بعض المجازفين عن هذين المعنيين بصيغة السب لتأييد المذهب ؟ دع ما يقوله من هم أشد منهم غلوا في تضليل المخالف وتكفيره. والجميع يقولون انهم يعبدون الله خالق السموات والارض وما بينهما وما فيهما، وهم صادقون في ذلك وان اتخذ بعضهم له شريكا أو وصفه بما لا يليق به أو نفى عنه ماوصف به نفسه، ولكن تعصب المرء لنفسه ولمن تجمعه به جامعة ما قد تحمله على توسيع شقة الخلاف بمثل ذلك ولاسيما في أثناء الجدل. وفي هذا المقام نزداد فهما لقوله عز وجل (٢٩ : ٤٦ ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) هذا مانراه في معنى النهي وتعليله وقد ورد في المأثور ما يؤيد بعضه ننقله عن الدر المنثور وهو :

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) الآية قال قالوا: يامحمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك. فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش

تكلف بعيد، وقال الراغب: وسبهم لله ليس على أنهم يسبونه صريحا ولكن يخوضون في ذكره فيذكرونه بما لا يليق به ويتمادون في ذلك بالمجادلة فيزدادون في ذكره بما تنزه تعالى عنه اهـ وما قاله مما يقع مثله وليس كل المراد

واستشكل بعضهم النهي بما ورد في الكتاب العزيز من وصف آلهتهم بأنها لا تضر ولا تنفع، ولا تقرب ولا تشفع، وأنها هي وإياهم حصب جهنم، وتسميتها بالطاغوت وهو مبالغة من الطغيان، وجعل عبادتها طاعة الشيطان. وقد يجاب عنه بأن هذا لا يسمى سبا، وإن زعموه جدلا. لأن السب الشتم وهو مايقصد به الاهانة والتعبير، والغرض من ذكر معبوداتهم بذلك بيان الحقائق، والتنفير عن الاباطيل والمفاسد، وأجيب على تقدير التسليم بأن سب مايستحق السب جائز في نفسه، وإنما يحظر إذا أدى الى مفسدة أكبر منه، والحال هنا كذلك. وقد صح النهي عن الصلاة في المقبرة والحمام، ومثلها التلاوة في المواضع المكروهة.

واستنبط العلماء من هذه الآية أن الطاعة إذا أدت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر، وفرقوا بين هذا وبين الطاعة في مكان فيه معصية لا يمكن دفعها. وهذه المسألة تحتاج الى بسط وإيضاح فان من الطاعة ما يجب وما لا يجب، ومن المعاصي والشرور التي تترتب على بعض الطاعات أحيانا ما هو مفسدة راجحة وما ليس كذلك، ومن كل منهما ما يمكن التفصي من ترتبه على الطاعة وما لا يمكن التفصي منه، ولكل من ذلك أحكام، وتعرض له درجات الانكار الثلاث ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان)) رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة.

ومن فروع هذه المسألة ماذكرناه في العدد الاول من منار السنة الاولى في بحث اصطلاح كتاب العصر، وهو ان معنى لفظ الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه قيل الليل كافر والبحر كافر، وأطلق لفظ الكفار في سورة الفتح على الزراع وغلب لفظ الكفر في القرآن وعرف الفقهاء والمتكلمين بمعنى المقابل للايمان الصحيح شرعا. ثم غلب في عرف كتاب هذا العصر على الملاحدة المعطلين المنكرين لوجود الله عز وجل، فصار إطلاقه على كل متدين سبا واهانة، فيترتب على هذا أن اطلاقه على

من يحرم إيذاؤه من أهل الأديان تحريماً شرعياً إذا تأذى به ولا سيما في الخطاب. وذكره شاهداً لهذا من فتاوى الحنفية وهو ما في معين الحكام قال: إذا شتم الذمي يعزر لأنه ارتكب معصية. وفيه نقلا عن القنية: ولو قال للذمي يا كافر يأثم إن شق عليه. هـ

(ومنها) ما ذكرته في سياق الكلام في تحقيق في لعن معاوية بن أبي سفيان من (ص ٦٣٠-٧) للمنار بعد بيان ما يترتب على لعنه من التعادي بين الشيعة والسنيين، وهو: لهذا لا أبالي أن أقول لو اطلع مطلع على الغيب وعلم أنه مات على غير الإسلام لما جاز له أن يلعنه. وغرضي من هذا أن الذي يترتب عليه من مفاسد الشقاق بين المسلمين ما يجعله محرما وأكثر المسلمين يحرمون لعنه، وقد لعن الله الشيطان ويلعنه اللاعنون في كل مكان ومن لا يلعنه طول عمره لا يسأله الله عن ذلك لأنه لم يوجبه عليه. كما قال بعض الأئمة،

(ومنها) ما نقل عن أبي منصور قال: كيف نهانا الله تعالى عن سب من يستحق السب لئلا يسب من لا يستحقه - وقد أمرنا بقتالهم وإذا قاتلناهم قتلونا وقتل المؤمن بغير حق منكر؟ وكذا أمر النبي (ص) بالتبليغ والتلاوة عليهم وإن كانوا يكذبونه، وأجاب عنه بأن سب الآلهة مباح غير مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ، وما كان مباحا ينهى عما يتولد منه ويحدث، وما كان فرضا لا ينهى عما يتولد منه.

ولاختلاف الفقهاء في إجابة الدعوة إلى وليمة النكاح المقارنة لبعض المعاصي كما يقع كثيرا هل يجيب الدعوة ويغير ما يراه من المنكر بيده أو بلسانه إن قدر، وإلا أنكره بقلبه وصبر؟ أم يجيب في حال القدرة على التغيير دون حال العجز؟ أم يفرق فيه بين من يقتدى به وغيره فيحرم حضور المنكر ولو مع النهي عنه على الأول دون الثاني؟ أقول لا مجال هنا لتحقيق الحق فيها، ولا لاستطالة في فروع المسألة

(كذلك زينا لكل أمة عملهم) أي مثل ذلك التزيين الذي يحمل المشركين على ما ذكر حمية لمن يدعون من دون الله زينا لكل أمة عملهم من إيمان وكفر، وخير وشر، أي مضت سنتنا في أخلاق البشر وشؤونهم أن يستحسنوا ما يجرون عليه ويتعودونه مما كان عليه آباؤهم، أو مما استحدثوه بأنفسهم إذا صار يستند وينسب إليهم، سواء كانوا على تقليد وجهل، أم على بينة وعلم، فسبب التزيين في الأول أنسهم به وكونه من شؤون أمتهم، التي يعد مدحها مدحا لها ولهم، وذمها عارا عليها

وعليهم، ورد على ذلك في الثاني مايعطيه العلم من كون ذلك حقا وخيرا في نفسه يترتب عليه فضلهم على غيرهم فيه وفي الجزاء عليه، وشبهات الاول ليس لها مثل هذا التأثير.

فظهر بهذا ان التزيين أثر لاعمال اختيارية لا جبر فيها ولا إكراه ، وليس المراد به ان الله خلق في قلوب بعض الامم تزيينا للكفر والشر وفي قلوب بعضها تزيين الايمان والخير خلقا ابتدائيا ، من غير ان يكون لهم عمل اختياري نشأ عنه ذلك . اذ لو كان الامر كما ذكر لكان الايمان والكفر والخير والشر من الغرائز الخلقية التي تعد الدعوة اليها والترغيب فيها وما يقابله من النهي والترهيب عنها من العبث الذي يتنزه الله تعالى عن ارسال الرسل وانزال الكتب لاجله ، ولكان عمل الرسل والحكماء والمؤدبين الذين يهدون الناس و يزكونهم بالتأديب - كله من الجنون. ومن لوازم ذلك أن يكون التفاوت بين الاخيار والاشرار من الناس كالتفاوت بين الملائكة والشياطين وهو خلاف المقطوع به عقلا ونقلا من استوائهم في قابلية كل منهم الايمان والكفر والخير والشر

وقد غفلت المعتزلة عن هذا التحقيق فأول بعضهم الآية بأنها خاصة بالمؤمنين الذين زين الله في قلوبهم الايمان، و بعضهم بغير ذلك، واحتج بها بعض الجبرية في الظاهر والباطن معا و بعض الاشعرية الذين يعتقدون الجبر و يقيمون الحجج لاثباته و يتبرؤن من لفظه والانتساب الى أهله - احتج كل منهما بأنها نص في مذهبه، وقد تفلسف الرازي في الاستدلال على ان تزيين الكفر مخلوق لله تعالى من غير اختيار العبد فزعم ان الانسان لايختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفراً وجهلا و إنما يختاره لاعتقاده كونه إيمانا وعلما وصدقا وحقا ، فلولا سابقة الجهل الاول لما اختار هذا الجهل الثاني، وذلك الجهل السابق ان كان اختياريا يقال فيه مثل قيل فيا قبله محال فيلزم التسلسل المحال، قال « ولما كان ذلك باطلا وجب انتهاء تلك الجهالات الى جهل أول يخلقه الله تعالى فيه ابتداء وهو بسبب ذلك الجهل ظن في الكفر كونه إيمانا وحقا وعلما وصدقا، فثبت انه يستحيل من الكافر اختيار الجهل في قلبه » و يبطل هذا الدليل الذي سماه قطعيا ان الجهل أمر سلبي ، لايوصف بأنه خلق ابتدائي، وأنه ليس كل كفر مزينا لصاحبه باعتقاده انه حق وعلم وصدق كما زعم ، بل شر الكفر وأشده كفر الجحود والعناد

والمكابرة، وما زينه الشيطان لها من اجتراحه بعده من عزة النفس وشرفها، بالامتناع من اعترافها بما تراه عاراً عليها وعلى الآباء والأجداد ، من اتباع من هو دونها في الشرف والجاه ؛ كما عرف من شأن الجاحدين ، من رؤساء الأمم المترفين ، مع الأنبياء المرسلين ، وورثتهم من العلماء المصلحين ،

فعلم من هذا التحقيق ان تزيين الاعمال للأمم عبارة عن سنة الله تعالى في أعمالها وعاداتها وأخلاقها المكسوبة والموروثة وقد بيناها في تفسير (٣: ١٣ زين للناس حب الشهوات) ان ما كان كذلك لا يسند الا الى الله تعالى واضع السنن وكاتب المقادير . وأما تزيين القبيح من عمل واعتقاد فيسند تارة الى الشيطان وشواهده في هذه السورة (٦: ٤٠ و ١٣٧) والأنفال (٨: ٤٩) والنحل (١٦: ٦٣) والنمل (٢٧: ٢٤) والعنكبوت (٢٩: ٣٨) وحم السجدة (٤١: ٢٥) وتارة الى المفعول وشواهده في هذه السورة (٦: ١٢٢) والتوبة ويونس وفاطر والمؤمن والقتال والفتح ، وورد اسناده الى الله تعالى في أول سورة النمل فقط . ويقابله اسناد تزيين الايمان اليه تبارك اسمه في سورة الحجرات فقط . ويجمعهما اسناد جميع الاعمال اليه تعالى في الآية التي نحن بصدد تفسيرها، ونحوه اسناد حب الشهوات الى المفعول في سورة آل عمران ويراجع تفسيرنا لها[1] ولقوله تعالى في أواخر سورة البقرة (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)[2] وفي تفسير الاخيرة كلام حسن للاستاذ الامام في الخير والشر

(ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) أي ثم يرجع جميع أفراد أولئك الأمم الى ربهم الذي هو سيدهم ومالك أمرهم بعد أن يموتوا ويبعثوا لا الى غيره اذ لا رب غيره، فينبئهم عقب رجوعهم اليه للحساب والجزاء بما كانوا يعملون مما كان مزيناً لهم وغير مزين، ويجزيهم به ان خيراً فخير وان شراً فشر

﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ﴾ أي وأقسم أولئك المشركون المعاندون بالله أشد أيمانهم تأكيداً ينتهي جهدهم ووسعهم مبالغة فيها، لئن جاءتهم آية من الآيات الكونية التي اقترحوها أو مطلقاً ليؤمنن بها أنها من عند الله دالة على صدق رسوله (ص) فيكون ايمانهم بها ايماناً به، وليؤمنن بما دعاهم اليه

(١) ص ٢٣٨ ج ٣ تفسير (٢) (ص) ١٤٦ ج ٣ تفسير

بسببها (قل إنما الآيات عند الله) أي قل أيها الرسول إنما الآيات عند الله تعالى فهو وحده القادر عليها ، والمتصرف فيها ، يعطيها من يشاء بفضله ورحمته ، ويمنعها من يشاء بحكمته « وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله » ومشيئته ، وكمال الادب معه تعالى أن يفوض اليه الامر في ذلك . وتقدم تحقيق المسألة في أوائل تفسير السورة

روى أبو الشيخ عن ابن جريج أن هذا نزل في المستهزئين الذين سألوا رسول الله (ص) الآية ، وأخرج ابن جرير مثله عن محمد بن كعب القرظي مفصلا فذكر أنهم ذكروا له ما يخبره بعصا موسى واحياء عيسى للموتى وناقة ثمود وطلبوا منه أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأقسموا بالله لئن فعل ليتبعنه أجمعين ، فقام (ص) يدعو فجاءه جبريل فخيره بين أن يصبح الصفا ذهبا على أن يعذبهم الله اذا لم يؤمنوا — أي عذاب الاستئصال حسب سنته تعالى كما تقدم في هذه السورة — وبين أن يتركهم حتى يتوب تائبهم ، فاختار الثاني فأنزل الله فيهم « وأقسموا بالله » حتى « ولكن أكثرهم يجهلون » أي فأنزل الله هذه الآيات في ضمن السورة التي نزلت دفعة واحدة ، وتقدم تحقيق مثله مرارا

(وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) أي انكم ليس لكم شيء من أسباب الشعور بهذا الامر الغيبي الذي لا يعلمه الا علام الغيوب سبحانه وتعالى وهو انهم لا يؤمنون ان جاءت الآية . والخطاب للمؤمنين الذين تمنوا مجيء الآية ليؤمنوا والنبي (ص) معهم ، وقيل لهم وحدهم ، ويؤيد الاول رواية ان ذلك ورواية طلبه تعالى منهم ايؤمنن بها . وقد غفل من غفل من المفسرين عن كون الاستفهام انكاريا نافيا لشعورهم بهذا الامر الثابت عنده تعالى في علم الغيب فذهب الى أن المعنى : وما يشعركم أنهم يؤمنون اذا جاءت؟ فجعلوا النفي لغوا ، وذهب بعضهم الى أن « أنها » بمعنى لعلها ، ونقلوا هذا عن الخليل وجاؤا عليه بشواهدهم في غنى عنه وعنها . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب « انها » بكسر الهمزة كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم اذا جاءت؟ وكأنهم قالوا ماذا يكون منهم ؟ فأخبرهم بذلك قائلا : انها اذا جاءت لا يؤمنون . وقرأ ابن عامر وحمزة « لا تؤمنون » بالخطاب للمشركين ، وهو كسابقه التفات وتلوين

﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ هذا عطف على قوله « لا يؤمنون » وبيان لسنة الله تعالى في عدم إيمانهم برؤية الآية . أي وما يشعركم أيضاً أننا نقلب أفئدتهم عند مجيء الآية بالخواطر والتأويلات ، والتفكر في استنباط الاحتمالات ، وأبصارهم في توهم التخيلات ، كشأنهم في عدم إيمانهم بما جاءهم كم مرة من الآيات ، وقيل الضمير في قوله « به » للقرآن ، وقيل للنبي عليه الصلاة والسلام ، وتقليب الابصار من قبيل قوله تعالى (١٥:١٤) ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ١٥ لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ فان من لم يقنعه ما اشتمل عليه القرآن من الآيات العقلية العلمية ، لا يقنعه مايراه بعينه من الآيات الحسية ، بل يدعي أن عينيه خُدعتا أو أصيبتا بآفة فهي لا ترى الا صورا خيالية ، أو انه من أعمال السحر الصناعية ، وهل هذا الا خلق الاولين في مكابرة آيات من بعث فيهم من المرسلين ؟

﴿ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ العمه التردد في الامر من الحيرة فيه ، أي وندعهم في تجاوزهم الحدود في الكفر والعصيان ، المشابه لطغيان الماء في الطوفان ، الذي رسخوا فيه فترتب عليه ماذكر من سنتنا في تقلب القلوب والابصار ، يترددون متحيرين فيما سمعوا ورأوا من الآيات . هل هو الحق المبين ، أم السحر الذي يخدع الناظرين ؟ وهل الارجح اتباع الحق بعد ما تبين ، أم المكابرة له والجدل فيه كبرا وأنفة من الخضوع لمن يرونه دونهم . وهذا صريح في أن رسوخهم في الطغيان الذي هو منتهى الاسراف في الكفر والعصيان ، هو سبب تقلب القلوب والابصار ، وانما اسناده الى الخالق لهو ، لبيان سنته الحكيمة فيها ، كغيره من ربط المسببات بأسبابها ، وانما يغلط كثير من الناس هذا الامر الواقع لعدم التأمل فيه ، والتوهم أن جميع مايسند اليه تعالى فهو من الخلق المستقل دون نظام التقادير ، وهي نزعة قدرية داخلة في قولهم « الامر أنف » فلا نظام ، ولا تقدير ، يتكلم خصومهم فيها وهم لايشعرون ، ويوقعهم التعصب للمذاهب في ظهر التناقض وهم

عاملون، فنسأله على أن يثبت أفئدتنا ويبصرنا على الحق، ويحفظنا من الطغيان والعمه في كل أمر، ويجعلنا ممن أبصر بما جاءه من البصائر، ويصلح لنا السرائر والظواهر. اللهم آمين

﴿تم الجزء السابع﴾

أمراء أعراب الشام في القرن الثامن

وما كان يكتب لهم من تقليد الامارة من سلاطين مصر

جاء في ص (١٠٨) من الجزء الثاني عشر من كتاب صبح الاعشى في بيان ما يكتب الى الطبقة الاولى من أمراء عربان الشام مانصه :

تقليد بامرة آل فضل

وهذه نسخة تقليد بإمرة آل فضل [1] كتب به للامير شجاع الدين فضل بن عيسى، عوضاً عن أخيه مهنا، عند ما خرج أخوه المذكور مع قراسنقر الافرم ومن معهما من المتسحبين، وأقام [هو] باطراف البلاد ولم يفارق الخدمة، في شهور سنة ثنتي عشرة وسبعمائة، من انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهو :

الحمد لله الذي منح آل فضل في أيامنا الزاهرة بحسن الطاعة فضلا، وزاد عليهم بتقديم الاخلاص في الولاء من أنفسهم شجاعا يجمع لهم على الخدمة ألفة وينظم لهم على المخالصة شملا، وحفظ عليهم من اعزاز مكان بيتهم لدينا مكانة لا تنقض لها الايام حكما ولا تنقص لها الحوادث ظلا

ونحمده على نعمه التي شملت برنا، الحضر والبدو، وألهجت بشكرنا، ألسنة العجم في الشدو والعرب في الحدو، وأعملت في الجهاد

بين يدينا من اليعملات ما يباري بالنص والعَنق الصافنات في خَبب والعدوْ . ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة تدرأ بها الامور العظام ، وتقلد يُمنها ما أهم من مصالح الاسلام لمن يجري بتدبيره على أحسن نظام ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث من أعلى ذوائب العرب وأشرفها ، المرجو الشفاعة العظمى يوم طول عرض الأمم وهول موقفها ، صلى الله عليه على آله وصحبه الذين كرمت بالوفاء أنسابهم ، وأضاءت بتقوى الله وجوههم وأحسابهم ، صلاة لا تزل الالسن تقيم أداءها ، والأقلام ترقم ردائها ، وسلم تسليما كثيرا

وبعد فان أولى من أجنته الطاعة ثمرة اخلاصه ، ورفعته المخالصة الى أسنى رتب تقريبه واختصاصه ، ألف مبادرته الى الخدمة الشريفة قلوب القبائل وجمع شملها وقاده حسن الوفاء من أمر قدمه ولهم ما يستشهد فيه بقول الله تعالى (وكانوا أحق بها وأهلها) — من ارتقى الى أسنى رتب دنياه بحفظ دينه ، ودل تمسكه بإيمانه على صحة إيمانه وقوة يقينه ، ولاحظته عيون السعادة فكان في حزب الله الغالب وهو حزبنا ، وقابلته وجوه الاقبال فأرته أن المخبرين من فاته تقريبنا وقربنا ، ورأى احساننا اليه بعين لم يطرفها الجحود ، ولم يطرقها اعراض السعود ، فسلك جادة الوفاء وهي من أبين الطرق طريقاً ، واقتدى في الطاعة والولاء بمن قال فيهم عز قوله : (وحسُنَ أولئكَ رَفيقاً)

ولما كان المجلس العالي ... هو الذي حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة ما حاز ، وفاز من برنا وشكرنا بجميل المبادرة الى الخدمه بما فاز ، وعلم مواقع احساننا اليه فعمل على استدامة وبلها ، واستزاد

فضلها ، والارتواء من معروفها الذي باء بالحرمان (منه) من خرج عن ظلها ، مع ما أضاف إلى ذلك : من شجاعة تبيت منها أعداء الدين على وجل ، ومهابة تسري إلى قلوب من بعُد من أهل الكفر ، سرى ما قرب من الاجل — اقتضت آراؤنا الشريفة أن نمد على أطراف الممالك المحروسة منه سورا مصفحا بصفاحه ، مشرفا بأسنة رماحه

فرسم بالامر الشريف العالي لازال يقلد وليه فضلا ، ويعلأ ممالكه احسانا وعدلا — أن يفوض اليه كيت وكيت : لما تقدم من أسباب تقديمه ، وأومئ اليه من عنايتنا بهذا البيت الذي هو سر حديثه وقديمه ، ولعلمنا بأوليته التي قطبها الشجاعة ، وفلكها الطاعة ، ومادتها الديانة والتقى ، وجادتها الامانة التي لا تستزلها الاهواء ولا تستفزها الرقى

ولكن لاخبار العدو مطلعا ، ولنجوى حركاتهم وسكناتهم على البعد سامعا ، ولمداراتهم كل وقت مصحبا حتى يظنوه من كل ثنية عليهم طالعا ، وليدم التأهب حتى لا تفوته من العدو غارة ولا غرة ، ويلزم أصحابه بالتيقظ لادامة الجهاد الذي جرب الاعداء (منه) مواقع سيوفهم غير مرة ، وقد خبرنا من شجاعته واقدامه ، وسياسته في نقض كل أمر وابرامه ، ما يغني عن الوصايا التي ملاكها تقوى الله تعالى وهي من سجاياه التي وصفت ، وخصائصه التي ألفت وعرفت . فليجعلها مرآة ذكره ، وفاتحة فكره ، والله تعالى يؤيده في سره وجهره ، بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى

مرسوم بامرة آل فضل

وهذه نسخة مرسوم شريف بامرة آل فضل ، كتب بها للامير

حسام الدين « مهنا ابن عيسى » من انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي أرهف حسام الدين في طاعتنا بيد من يمضي مضاربه بيديه ، وأعاد أمر القبائل وامرتهم الى ما لا يصلح أمر العرب الا عليه ، وحفظ رتبة آل عيسى باستقرارها لمن لا يزال الوفاء والشجاعة والطاعة في سائر الاحوال منسوبات اليه ، وجعل حسن التقى عنايتنا لمن لم يتطرق العدو الى أطراف البلاد المحروسة الا ورده الله تعالى بنصرنا وشجاعته على عقبيه

نحمده على نعمه التي ما زالت مستحقة لمن لم يزل المقدم في ضميرنا المعوّل عليه في أمور الاسلام وأمورنا ، المعين فيما تنطوي عليه أثناء سرائرنا ومطاوي صدورنا . ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة توجب على قائلها حسن التمسك بأسبابها ، وتقتضي المخلص فيها بذل النفوس والنفائس في المحافظة على مصالح أربابها ، وتكون للمحافظ عليها ذخيرة يوم تتقدم النفوس طاعتها وايمانها وأنسابها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوثُ من أشرف ذوائب العرب أصلا وفرعاً ، المفروضة طاعته على سائر الامم ديناً وشرعاً ، المخصوص بالائمة الذين بثوا دعوته في الآفاق على سعتها ، ولم يضيقوا لجهاد أعداء الله وأعدائه ذرعاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازوا بصحبته الرتب الفاخرة ، وحصلوا بطاعة لله وطاعته على سعادة الدنيا والآخرة ، وعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فلم يزحزحهم عن ظلها الركون الى الدنيا الساحرة ، صلاة تقطع الفلوات ركائبها وتسري بالكي طرق

النجاة نجائبها ، وتنتصر باقامتها كتائب الاسلام ونموا كبيراً ﷺ وسلم تسليما كثيراً

أما بعد فان أولى من تلقته رتبته التي توهم اعراضها باليمن وجه الرضا، واستقبلته مكانته التي تخيل صدودها بأحسن مواقع القبول التي تضمنت الاعتداد من الحسنات بكل ما سلف والاغضاء من الهفوات عما مضى ، وآلت اليه إمرته التي خافت العطل منه وهي به حالية ، وعادت منزلته الى ما ألفته لدينا : من مكانة مكينة وعرفة عندنا: من رتبة عاليه ، من أمنت شمس سعادته في أيامنا من الغروب والزوال، ووثقت أسباب نعمه بأن لا يروع سربها في دولتنا بالانتقاض ولا ظلالها بالانتقال ، وأغنته سوابق طاعته المحفوظة لدينا عن توسط الوسائل ، واحتجت له مواقع خدمه التي لا تجحد مواقفها في نكاية الاعداء ولا تنكر شهرتها في القبائل ، وكفل له حسن رأينا فيه بما حقق مطالبه، وأحمد عواقبه، وحفظ له وعليه مكانته ومراتبه، فما توهم الاعداء أن برقه خبا حتى لمع ، ولا ظنوا أن ودقه أقلع حتى همى وهمع ، ولا تخيلوا أن حسامه نبا حتى أرهفته عنايتنا فحيثما حل من أوصالهم قطع، وكيف يضاع مثله ، وهو من أركان الاسلام التي لا تنزل الاهواء ولا ترتقي الاطماع متونها، ولا تستقر[1] الاعداء عند جهادها واجتهادها في مصالح الاسلام حسبها ودينها

ولما كان المجلس العالي . . هو الذي لا يحول اعتقادنا في ولائه ، ولا يزول اعتمادنا على نفاذه في مصالحنا ومضائه ، ولا يتغير وثوقنا به

(١) لعله « ولا تستغل »

عما في خواطرنا من كمال دينه وصحة يقينه ، وأنه مارفعت بين أيدينا راية جهاد الا تلقاها عرابة عزمه بيمينه ، فهو الولي الذي حسنت عليه آثار نعمنا ، والصفي الذي نشأ في خدمة أسلافنا نشأ بنوه في خدمنا ، والتقي الذي يأبى دينه الا حفظ جانب الله في الجهاد بين يدي عزمنا وأمام همنا — اقتضت آراؤنا الشريفة أن نصرح له من الاحسان بما هو في مكنون سرائرنا ، ومضمون ضمائرنا ، ونعلن بأن رتبته عندنا بمكان لا تتطاول اليه يد الحوادث ، ونبين ان أعظم أسباب التقدم ما كان لديه من عنايتنا وامتناننا أكرم بواعث

فلذلك رُسم أن يعاد الى الامرة على أمراء آل فضل ومشايخهم ومقدميهم وسائر عربانهم ، ومن هو مضاف لهم ومنسوب اليهم ، على عادته وقاعدته

فياجر في ذلك على عادته التي لامزيد على كمالها ، ولا محيد عن بذلها في مصالح الاسلام ومآلها ، آخذا للجهاد أهبته من جمع الكلمة واتحادها ، واتخاذ القوة واعدادها ، وتضافر الهمم التي مازال الظفر من موادها والنصر من امدادها والزام أمراء العربان بتكميل أصحابهم ، وحفظ مراكزهم التي لاتسد أبوابها الا بهم ، والتيقظ لمكايد عدوهم ، والتنبه لكشف أحوالهم في رواحهم وغدوهم ، وحفظ الاطراف التي هم سورها من أن تسورها مكايد العدا ، وتخطف من يتطرق الى الثغور من قبل أن يرفع الى أفقها طرفاً أو يمد على البعد الى جهتها المصونة يداً ، وليبث في الاعداء من مكايد مهابته ما يمنعهم القرار ، ويحسن لهم الفرار ، ويحول بينهم وبين الكرى لاشتراك اسم النوم وحد سيفه في مسمى الغرار

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ، فهو ابن بجدتها ، وفارس نجدتها ، وجهينة أخبارها ، وحلبة غاياتها ومضمارها ، فيفعل من ذلك كله ما شكر من سيرته ، وحمد من اعلانه وسريرته ، وقد جعلنا في ذلك وغيره من مصالح امرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضي الله تعالى ورسوله ، ويبلغ به من جهاد الاعداء أمله وسوله ، والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتماد ...

مرسوم شريف بامرة آل علي

ثم جاء في (ص ١٢٤) مما يكتب الى المرتبة الاولى من الطبقة الثانية ما نصه :

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل علي ، كتب به للامير عز الدين جماز بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من انشاء المقر الشهابي ابن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أنجح بنا كل وسيله ، وأحسن بنا الخلف عمن قضى في طاعتنا الشريفة سبيله ، ومضى وخلى ولده رسيله ، وأمسك به دمعة السيوف في خدودها الاسيله ، وأمضى به كل سيف لايرد مضاء مضاربه بحيله ، وأرضى بتقليده كل عنق وجمل كل جيله

نحمده على كل نعمة جزيله ، وموهبة جميله ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة ترشد من اتخذ فيها نجوم الاسنة دليله ، وتجعل أعداء الله بعز الدين ذليله ، وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرم قبيله ، وشرف به كل قبيله ، وأظهر به العرب على العجم وأخمد من نارهم

كل قبيله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكل خير كفيله ، وسلم تسليما كثيرا

وبعد ، فان دولتنا الشريفة لما خفق على المشرق والمغرب جناحها ، وشمل البدو والحضر سماحها ، ودخل في طاعتها الشريفة كل راحل ومقيم في الاقطار ، وكل ساكن خيمة وجدار — ترعى النعم بابقائها في أهلها ، والقائها في محلها ، مع ما تقدم من رعاية توجب التقديم ، وتودع بها الصنائع في بيت قديم ، وتزين بها المواكب اذا تعارضت جحافلها ، وتعارفت شعوبها وقبائلها ، واستولت جيادها على الأمد وقد سبقت أصائلها ، وتداعت فرسانها وقد اشتبهت مناسبها ومناصبها ومناصلها ، وكانت قبائل العربان ممن عمهم دعوتنا الشريفة ، وتضمهم طاعتنا التي هي لهم أكل وظيفة ، ولهم النجدة في كل بادية وحضر ، وإقامة وسفر ، وشام وحجاز ، وإنجاد وإنجاز ، ولم يزل (لآل علي) فيهم أعلى مكانه ، وما منهم الا من توسد سيفه وافترش حصانه ، وهم من دمشق المحروسة رديف أسوارها ، وفريد سوارها ، والنازلون من أرضها في أقرب مكان ، والنازحون ولهم الى الدار بها أقطار[1] وأوطان ، قد أحسنوا حول البلاد الشامية مقامهم ، واستغنوا عن المقارعة على الضيفان لما نصبوا بقارعة الطريق خيامهم[2] وباهو كل قبيلة بقوم كاثر النجوم عديدهم ، وأوقدوا

(١) المنار : لفظ أقطار هنا لا معنى له فهو محرف عن أوطار أخذا من قول الشريف الرضي : لايذكر الرمل الا حن مغترب له بذي الرمل أوطار وأوطان

(٢) مأخوذ من قول الشاعر :

نصبوا بقارعة الطريق خيامهم يتقارعون على قرى الضيفان

وبعده ويكاد موقدهم يجود بنفسه حب القرى حطبا على النيران

لهم في اليفاع نداً اذا هي القطر شبتها عبيدهم [1] ، هم من آل فضل حيث كان عيثًا ، وحديثه في المسامع حليًا ، فلما انتهت الإمرة الى الامير المرحوم شمس الدين محمد بن أبي بكر رحمه الله — جمعهم على دولتنا القاهرة ، وأقام فيهم يبتغي بطاعتنا الشريفة رضا الله والدار الآخرة ، ثم أمده الله من ولده بمن ألقى اليه همه ، وأمضى به عزمه ، ونفذ به حكمه ، ونقل قسمه

وكان الذي يتحمل دونه مشقات أمورهم ، ويتلقى شكاوى آمرهم ومأمورهم ، ويرد الى أبوابنا العالية مستمطر لهم سحائب نعمنا التي أخصب بها مرادهم ، فساروا في الآفاق ومن جدواها راحلتهم وزادهم ، وتفرد بما جمعه من أبوته وإبائه ، وركز في كل أرض مناخ مطيه ومرسى خبائه ، وصاحى في الهاجرة الى أبوابنا الشريفة النجوم في السرى ، وحافظ على مراضينا الشريفة فما أوقد من نار الحرب إلا الى نار القرى ؛ وورد عليه مرسومنا الشريف فكان أسرع من السهم في مضائه . كم له من مناقب لايغطي عليها ذهب الاصيل تمويها ! ، وكم تنقل من كور الى سرج ومن سرج الى كور فمنى الهلال أن يكون لها شبيها ! كم أجمل في قومه سيره ! وكم جمل سريره ! كم أمر لها أملا ! كم أحسن عملا ! كم سد خللا ! كم جمع في مهماتنا الشريفة كل من امتطى فرسا وركب جملا ! كم صفوف به تقدمت ، وسيوف أقدمت ، وحتوف حائم الحمام بهـا على الاعداء ترنمت ! !

(١) ماخوذ من قول المعري في رائيته :

الموقدون بنجد نار بادية   لايحضرون وفقد العز في الحضر
اذا هي القطر شبتها عبيدهم   تحت الغمائم للسارين بالقطر

وكان المجلس السامي الاميري الأجلي الكبيري المجاهدي المؤيدي العضدي النصيري الاوحدي المقدمي الذخري الظهيري الاصلي : مجد الاسلام والمسلمين ، شرف الامراء في العالمين ، همام الدولة حسام الملة ، ركن القبائل ذخر العشائر ، نصرة الامراء والمجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين ، جاز بن محمد ، أدام الله نعمته — : هو المراد بما تقدم ، والاحق بأن يتقدم ، والذي لو أن الصباح صوارم والظلام جحافل لتقدم ، فلما مات والده رحمه الله نحا الى أبوابنا مالية ونور ولائه يسعى بين يديه ، ووقف بها وصدقاتنا الشريفة ترفرف عليه ، فرأينا أنه بقية قومه الذين سلفوا ، وخلف آبائه الذين عن زجر الخيل ماعزفوا ، وكبيرهم الذي يعترف له والدهم ووليدهم ، وأميرهم الذي يرعى به عهودهم ، وشجرتهم التي تلتف عليه من أنسابهم فروعها ، وفريدهم الذي تجتمع عليه من جحافلهم جموعها

فرسم بالامر الشريف أن تفوض اليه إمرة آل علي تامة عامة ، كاملة شاملة . يتصرف في أمورهم ، وآمرهم ومأمورهم ، قربا وبعدا ، وغورا ونجدا ، وظعنا واقامه ، وعراقا وتهامه ، وفي كل حقير وجليل ، وفي كل صاحب رُغاءٍ وثُغاء وصريرٍ وصليل ، على أكمل عوائد أمراء كل قبيله ، وفي كل أمورهم الكثيرة والقليلة

ونحن نأمرك بتقوى الله فيها صلاح كل فرق ، وإصلاح كل رفيق ، ونجاح كل سالك في طريق . والحكم : فليكن بما يوافق الشرع الشريف ، والحقوق : تخلصها على وجه الحق من القوي والضعيف . والرفق بمن وليته من هذا الجم الغفير والجمع الكبير . والزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا

الشريفة التي هي من الفروض اللازمة عليهم ، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرز بها مراسمنا المطاعة اليك واليهم ، وحفظ أطراف البلاد والذب عن الرعايا من كل طارق يطرقهم الا بخير ، والمسارعة الى ما يرسم لهم به ما دامت الاسنة في عصاها سير ، والافراج لعرك لا نسمح به الا لمن له حقيقة وجود ، وله في الخدمة أثر موجود ، ومنهم : فلا يكون الا اذا توجه منهم ، أو توالت عزائمهم وقل تعميم . والمهابة : فانشرها كسمتك في الآفاق ، ودع بوارق سيوفها تشام بالشام ودماها تراق بالعراق وخيول التقادم : فارتد منها كل سابق وسابقة تاف منهما الرياح ، ويحسدها الطير اذا طارا بغير جناح ، ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجة ، ولا تقطع عنا أخبارك البهيجة . وليعرف قومه له حقه ، ويوفوه من التعظيم مستحقه ، فانه أميرهم وأمره من امرنا المطاع ، فمن نازع فقد خالف النص والاجماع ، والله تعالى يوفقه ما استطاع ، بمنه وكرمه : والخط الشريف ...

خلاصة معاهدة الصلح (١)

٢

الفصل الرابع في المواد السياسية في خارج أوربا

حقوق ألمانية في خارج أوربة — تتنازل ألمانية في خارج أوربة لدول الحلفاء والدول المشتركة معها عن جميع الحقوق والامتيازات في البلاد التي لها أو لحلفائها وتتعهد أن تقبل التدابير التي تتخذها دول الحلفاء الخمس بشأن ذلك

المستعمرات والأملاك وراء البحار — تتنازل ألمانية لدول الحلفاء والدول المشتركة معها عن أملاكها الواقعة وراء البحار مع كل مالها من الحقوق والامتيازات

(١) تابع لما نشر في الجزء الثالث

فيها وتنتقل جميع الاموال المنقولة وغير المنقولة التي للامبراطورية الالمانية أو لأية دولة من دولها إلى الحكومة التي تكون صاحبة السلطة هناك ولهذه الحكومات أن تتخذ ما تستصوب من التدابير لارجاع الرعايا الالمان من هناك إلى أوطانهم والشروط التي تشترط على الرعايا الالمان من سلالة أوربية إذا أرادوا البقاء وامتلاك الاملاك والاتجار وتتعهد ألمانية أن تعوض من الخسارة التي أصابت الرعايا الفرنسويين في الكمرون أو على حدودها بفعل ولاة الامور الالمان الملكيين والعسكريين والافراد الالمان من أول يناير ١٩٠٠ إلى ١ أغسطس ١٩١٤ وتتنازل ألمانيا عن جميع حقوق التي اكتسبتها باتفاق ٤ نوفمبر ١٩١١ و٢٨ سبتمبر ١٩١٢ وتتعهد بأن تدفع إلى فرنسا جميع الودائع والحسابات والسلف التي حصلت عليها بموجب هذين الاتفاقين وذلك بحسب التقدير الذي تقدمه لجنة التعويض. وتتعهد ألمانيا أن تقبل وتنفذ النصوص التي تضعها دول الحلفاء والدول المشتركة معها للاتجار بالسلاح والمسكرات في أفريقية وعقد برلين العام ١٨٨٥ وعقد بروكسل العام ١٨٩٠ أما الحماية السياسية لأهالي المستعمرات الالمانية فمتعلقة بالحكومات التي تدير أمور تلك المستعمرات

الصين — تتنازل ألمانيا للصين عن جميع الامتيازات والغرامات التي نالتها باتفاق البوكسر المبرم سنة ١٩٠١ وعن جميع المباني والارصفة والقشلاقات والحصون وذخيرة الحرب والبواخر وآلات التلغراف اللاسلكي وسائر الاملاك العمومية — ماعدا المباني التي للوكالة السياسية والقنصليات — في منطقة امتياز الالمان في تيان تسن وهنكو وفي سائر الاملاك الصينية ما عدا كياوتشو وتقبل أن ترد على حسابها إلى الصين جميع الآلات الفلكية التي أخذتها سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠١ على أن الصين لا تتخذ اجراءات التصرف بالاملاك الالمانية في حي السفارات في بكين من غير رضى الدول الموقعة لاتفاق البوكسر. وتقبل ألمانيا الغاء امتيازاتها في هنكو وتيان تسن وتقبل الصين أن تفتحها لاستعمال الامم. وتتنازل ألمانية عن كل دعوى على الصين أو أية دولة أخرى من دول الحلفاء والدول المشتركة معها في ما يختص باعتقال رعاياها في الصين أو اخراجهم منها أو ضبط المصالح الالمانية أو تصفيتها هناك من ١٤ أغسطس سنة ١٩١٧ وتتنازل بريطانية العظمى عن أملاكها

في منطقة الامتياز البريطاني في كنتون ولفرنسا والصين معا عن ملكية المدرسة الألمانية في منطقة الامتياز الفرنسوي في شنغاي

سيام — تعترف ألمانية بأن جميع الاتفاقات المبرمة بينها وبين سيام وفي جملتها حقوق الامتيازات الأجنبية زالت من ٢٢ يوليو ١٩١٧ وأن جميع الأملاك العمومية الألمانية في سيام تنتقل ملكيتها إلى سيام بلا عوض ما عدا دور الوكالة السياسية والقنصليات. أما الأملاك الألمانية الخصوصية فتعامل طبقا لنصوص المواد الاقتصادية في المعاهدة) . وتتنازل ألمانية عن كل دعوى لها على سيام تختص بضبط بواخرها ومصادرتها وتصفية أملاكها وأموالها وعتقل رعاياها

ليبريا — تتنازل ألمانية عن جميع الحقوق التي اكتسبتها بالاتفاقات الدولية التي أبرمت في ١٩١١ – ١٩١٢ بشأن ليبريا ولا سيما الحق في تعيين صنديك الجمارك ولا تدخل في كل مفاوضة مقبلة لإرجاع ليبريا إلى سابق حالتها وتعتد في حكم المنقوض جميع المعاهدات التجارية والاتفاقات المبرمة بينها وبين ليبريا وتعترف بحق ليبريا في تعيين شروط إقامة الألمان في بلادها ومزاولتهم فيها

المغرب الأقصى — تتنازل ألمانية عن جميع الحقوق والامتيازات التي نالتها بعقد الجزيرة والاتفاقات الفرنسوية الألمانية في سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١١ وبجميع المعاهدات والاتفاقات التي أبرمتها مع السلطنة الشريفية (المغربية) وتتعهد بأن لا تتعرض لأية مفاوضة تدور على المغرب الأقصى بين فرنسة وسواها من الدول وتقبل جميع النتائج الناجمة عن الحماية الفرنسوية هناك وتتنازل عن امتيازاتها الأجنبية ويكون للحكومة الشريفية الحرية التامة في التصرف نحو الرعايا الألمان ويكون جميع الأشخاص المشمولين بالحماية الألمانية خاضعين لقانون البلاد ويجوز أن تباع جميع الأموال الألمانية المنقولة وغير المنقولة وفي جملتها حقوق التعدين بالمزاد العلني ويعطى الثمن للحكومة الشريفية ويخصم من المطلوب لها من التعويض وعلى ألمانية أيضا أن تتخلى عن مصلحتها في بنك الدولة في المغرب الأقصى. وتعامل جميع البضائع المغربية التي تدخل ألمانية بالامتيازات التي للبضائع الفرنسوية

مصر — تعترف ألمانية بالحماية البريطانية التي بسطت على مصر في ١٨ دسمبر

١٩١٤ وتتنازل اختيارا من ٤ أغسطس ١٩١٤ عن الامتيازات الاجنبية فيها ومن جميع المعاهدات والاتفاقات المبرمة بينهما وبين مصر وتتعهد أن لاتتعرض لاية مفاوضة تدور على مصر بين بريطانيا العظمى والدول الاخرى . وفي هذا القسم نصوص تختص بالقوانين التي تسري على الرعايا لالمان والاموال الالمانية وعلى قبول ألمانية لكل تغيير يعمل في مجلس صندوق الدين وتقبل ألمانية ان تنتقل الى بريطانيا العظمى السلطة التي كانت ممنوحة لسلطان تركيا السابق لضمان حرية الملاحة في قنال السويس . والاجراءات التي تتبع في أموال رعايا لالمان في مصر جعلت مشابهة للاجراءات المتبعة في المغرب الاقصى وسواه من البلدان وتعامل البضائع المصرية الانكليزية التي تدخل ألمانية بمثل المعاملة التي تعامل بها البضائع البريطانية

تركية وبلغارية — تقبل ألمانية جميع التدابير التي تتخذها دول الحلفاء والدول المشتركة معها مع تركية وبلغارية في ما يختص بالحقوق والامتيازات والمصالح التي تطالب ألمانية أو رعاياها بها في تينك البلادين ولم ينص عليها في مكان آخر

شانتنغ — تتنازل ألمانية عن جميع الحقوق والامتيازات التي لها ولا سيما في كياوتشا وعن سكك الحديد والمناجم والاسلاك التلغرافية البحرية التي أحرزتها بالمعاهدة التي أبرمتها مع الصين في ٦ مارس ١٨٩٨ وبالاتفاقات أخرى

أما في شانتنغ فجميع حقوق ألمانية على سكة الحديد من تسنغ تاو الى تسن انفو وفي جملتها حقوق التعدين وحقوق الاستغلال تنتقل الى اليابان أيضا وكذلك أسلاك التلغراف البحري الممتدة من تسنغ تاو الى شنغ ي وشيفو فهذه أيضا تنتقل الى ملكية اليابان بلا مقابل وتستولي اليابان على جميع أملاك الدولة الالمانية المنقولة وغير المنقولة في كياوتشا بلا مقابل

الفصل الخامس

في الشروط العسكرية البرية والبحرية والجوية

انه توطئة للشروع في انقاص سلاح الامم انقاصاً عاما تتعهد ألمانية مباشرة بأن تسير على المواد العسكرية البرية والبحرية والجوية التالية وهي : —

الشروط البرية — تنص الشروط العسكرية البرية على تسريح الجيوش الالمانية

وتنفيذ القيود العسكرية الاخرى بعد امضاء المعاهدة بشهرين(ويكون ذلك الخطوة الاولى نحو نزع السلاح الدولي) وتلغى الخدمة العسكرية الاجبارية في بلاد ألمانية وتدخل قوانين التجنيد على قاعدة التطوع في قوانين ألمانية العسكرية تقضي بتجنيد صف الضباط والجنود لمدة لا تقل عن ١٢ سنة متوالية وتشترط ان يخدم الضباط ٢٥ سنة ولا يحالوا الى المعاش قبل ان يبلغوا الخامسة والاربعين ولا يسمح بانشاء احتياطي من الضباط الذين خدموا في الحرب . ويكون مجموع رجال الجيش الالماني مئة الف لايزيد عدد الضباط فيهم على أربعة آلاف ولا يجوز تأليف قوة عسكرية غير هذه القوة ويمنع منعا خاصا زيادة موظفي الجمارك والغابات أوالبوليس وتعليمهم تعليما عسكريا وتكون وظيفة الجيش الالماني صون النظام الداخلي ومراقبة الحدود وعلى قيادته العليا ان تحصر عملها في المهام الادارية ولا يسمح بأن يكون لها هيئة أركان حرب عامة ويقص عدد المستخدمين الملكيين في وزارة الحربية والمصالح المشابهة لها الى عشر ماكان في سنة ١٩١٣ ولا يجوز ان يكون لالمانية أكثر من سبع فرق من المشاة وثلاث فرق من الفرسان ويلغى من أركان الحرب ويقفل مايزيد عن حاجة هذا الجيش من المدارس العسكرية ومدارس الضباط وتلاميذ المدارس الحربية الخ ويقتصر في قبول التلاميذ الذين يعينون ضباطاً على سد المناصب التي تفرغ في الجيش

أما صنع السلاح والذخيرة ومهمات الحرب في ألمانية فيقتصرفيه على بيان يبنى على قاعدة المقدار اللازم لجيش كالجيش المتقدم ولا يجوزانشاء احتياطي من السلاح والذخيرة فجميع الاسلحة والمدافع والمهمات الموجودة فوق الحد المعين يجب أن تسلم الى الحلفاء لتصرف فيها ولا يجوز لالمانية أن تصنع غازات سامة ولا سوائل نارية ولا يسوغ لها استيرادها ولا يجوز لها أن تصنع دبابات ولا أتوموبيلات مدرعة . وعلى الالمان أن يبلغوا الحلفاءأسماءجميع المصانع التي تصنع الذخيرة والسلاح ومواقعها وبيان مصنوعها لاجل الحصول على موافقة الحلفاء عليها . ويجب الغاء الترسانات التي لحكومة المانية وصرف مستخدميها، وأما الذخيرة التي تصنع لاستعمالها في الاستحكامات فتقتصر على ١٥٠٠ طلقة لكل مدفع من المدافع التي من عيار

١٠٥ سنتمترا فما دون و ٥٠٠ طلقة لكل مدفع من المدافع التي هي أكبر من ذلك.
ويحظر على المانية أن تصنع السلاح والذخيرة لبلدان أجنبية واستيرادها من الخارج ولا يجوز لالمانية أن تحافظ على الاستحكامات أو تنشيء استحكامات في أرض المانية واقعة على أقل من خمسين كيلو مترا شرقي الرين ولا يجوز لها أن تبقى في الشقة المذكورة قوات مسلحة لا دائمة ولا وقتية، ويحافظ على الحالة الحاضرة في ما يختص بالحصون القائمة على الحد الجنوبي والشرق الاصلي للامبراطورية الالمانية ولا يجوز اقامة المناورات العسكرية (في الشقة المذكورة) ولا انشاء مبان دائمة لمساعدة على تعبئة الجيش ويجب نزع السلاح من الاستحكامات في خلال ثلاثة أشهر (بعد المعاهدة)

الشروط البحرية — تنص الشروط البحرية على انه في خلال شهرين لا يجوز أن تتجاوز قوات المانية البحرية ست بوارج من طرز ديتشلندا ولوترنجن وستة طرادات خفيفة و١٢ مدمرة و١٢ نسافة أو ما يساوي هذا العدد من السفن التي تحل محلها. ولا يجوز أن يكون في هذه القوة البحرية غواصات. أما سائر البوارج فتوضع في الاحتياطي أو تخص بالاعمال التجارية ويجوز لالمانية أن تبقي على قدم الاستعداد عددا معيناً من السفن التي تلتقط الالغام الى أن يتم التقاط الالغام في بعض المناطق المعينة في البحر الشمالي وبحر البلطيق. وبعد انقضاء شهرين (على امضاء المعاهدة) لا يجوز أن يتجاوز مجموع رجال الاسطول الالماني ١٥ الفاً منهم ١٥٠٠ من الضباط وصف الضباط على أعظم تقدير. وتسلم (الى الحلفاء) نهائيا جميع البوارج الالمانية التي تسير على سطح الماء والمعتقلة في موانئ الحلفاء أو المحايدين، وفي خلال شهرين تسلم في موانئ الحلفاء بوارج المانية أخرى مبينة في المعاهدة وهي راسية الآن في الموانئ الالمانية ويجب على الحكومة الالمانية أن تتعهد بتحطيم جميع البوارج الالمانية التي تسير على سطح الماء والتي لم يتم صنعها حتى الآن وأما الطرادات المحولة ونحوها فينزع سلاحها وتعد بواخر تجارية. وبعد شهر تسلم في موانئ الحلفاء جميع الغواصات الالمانية والبواخر المستعملة لاخراج الغارق والحياض الخاصة بالغواصات والتي يمكن أن تسير في البحر بمددها أو التي يمكن

قطرها . وأما الباقي وما لا يزال يصنع في دور الصنعة فيجب على ألمانية أن تحطمه في خلال ثلاثة أشهر ولا يجوز لالمانيا أن تستعمل حطام هذه السفن الا للاغراض الصناعية ولا يجوز بيعها لبلدان أجنبية الا بشروط معينة لتعويضها . ويحظر على ألمانية أن تبني أو تحرز بوارج ويحظر عليها أن تبني أو تحرز غواصات والبوارج التي تبقى لها تعطى قدرا معينا من السلاح والذخيرة والمهمات الحربية وأما ما يفضل من السلاح والذخيرة والمهمات الحربية فيسلم ولا يجوز لالمانية خزن شيء منه أو انشاء احتياطي

ويجب أن يؤخذ رجال الاسطول الالماني بالتطوع التام ولا تقل مدة الخدمة للضباط وصف الضباط عن ٢٥ سنة متوالية وأما صغار صف الضباط أو البحارة فمدة الخدمة لهم لا تقل عن ١٢ سنة متوالية بقيود مختلفة

ولاجل ضمان سلامة الدخول في بحر البلطيك لا يجوز لالمانية ان تنشئ حصوناً في قطع معينة ولا أن تنصب مدافع تشرف على الطرق البحرية بين البحر الشمالي والبلطيك ويجب عليها ان تهدم (المعاقل) والاستحكامات القائمة في تلك البقاع وتنزع ما فيها من المدافع وأما الحصون الواقعة على بعد ٥٠ كيلومترا من شاطئ ألمانية أو القائمة على جزر ألمانية فهذه تبقى لانها دفاعية ولكن لا يجوز انشاء حصون جديدة ولا زيادة السلاح في الموجود منها . والحد الاعلى لما يخزن من الذخيرة في هذه المعاقل هو ١٥٠٠ طلقة للمدفع الواحد من عيار ٤٫١ بوصة فما دون و ٥٠٠ طلقة لكل مدفع من المدافع التي هي أكبر من هذا

ولا يجوز استعمال محطات التلغراف اللاسلكي الالمانية في ناون وهنوفر وبرلين لارسال تلغرافات بحرية وعسكرية أو سياسية من غير رضاء الحلفاء والدول المشتركة معهم في مدة ثلاثة أشهر وانما يجوز استعمالها لاغراض تجارية تحت المراقبة . وفي هذه المدة لا يجوز لالمانية ان تنشئ محطات كبيرة أخرى للتلغراف اللاسلكي ويجوز لها ان ترمم الاسلاك التلغرافية البحرية التي قطعت والتي لا يستعملها الحلفاء وكذلك أجزاء الاسلاك البحرية التي نقلت بعد قطعها والتي لا ينتفع بها الآن . وفي هذه الاحوال تظل الاسلاك المذكورة أو القطع التي نقلت أو التي استعملت ملكا للحلفاء

والدول المشتركة معهم وبناء على ذلك فان ١٤ سلكا أو أجزاء أسلاك عينت في هذه المادة لاترد الى ألمانية

الشروط الجوية — تنص الشروط الجوية على ان لا يكون في قوات ألمانية المسلحة أسلحة طيران عسكري أو بحري ولكن يسمح لها أن تبقي عندها مالا يزيد على ١٠٠ طيارة بحرية غير مسلحة لغاية أول اكتوبر ١٩١٩ تستعمل للبحث عن الالغام تحت سطح الماء فقط. ويسرح جميع رجال سلاح الطيران في ألمانية في خلال شهرين ماعدا ١٠٠٠ رجل ينهم الضباط يجوز ابقاؤهم الى اكتوبر وتتمتع طيارات الحلفاء والدول المشتركة معهم بحرية المرور فوق أملاك ألمانية والنزول فيها والنزول في منطقة المياه المحلية التي لها الى أول يناير ١٩٢٣ الا اذا كانت ألمانية قد سبق قبلت قبل هذا التاريخ في جمعية الامم أو سمح لها بالعمل باتفاق الجو الدولي ويحظر صنع الطيارات أو أجزائها في جميع أنحاء ألمانية لمدة ستة أشهر وتسلم جميع الطيارات العسكرية والبحرية والبلونات المسيرة ومهمات الطيران الى الحلفاء والحكومات المشتركة معهم في خلال ثلاثة أشهر الا الطيارات البحرية المئة التي تقدم ذكرها

شروط عمومية — وتنص الشروط العمومية على تعديل القوانين الالمانية لتصير مطابقة للمواد المتقدمة وعلى ألمانية ان تنفذ جميع المواد الواردة في المعاهدة تحت مراقبة لجنة دولية من الحلفاء يعينها الحلفاء والحكومات المشتركة معهم وعلى الحكومة الالمانية ان تمد هذه اللجنة بجميع التسهيلات ونفقات مصروفاتها ، وأما مهمة اللجان العسكرية والبحرية والجوية التي للمراقبة فقد نص عليها بالتفصيل

(لها بقية)

﴿ فائدة ، في هدي القرآن في المعاهدة ﴾

من عجائب حكم القرآن وعلومه أن كل زمان يظهر منها مالم يكن ظاهرا فيما قبله كظهوره فيه كما فصلناه في تفسير قوله تعالى (٦:٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) ومن هذا القبيل قوله تعالى بعد الامر بالايفاء بعهد الله من سورة النحل

(١٦: ٩٢) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة — الى قوله — ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها) الآية. الايمان بالفتح العهود والمواثيق والدخل بالتحريك ما داخل الشيء من أسباب الفساد كالخديعة والحيلة والعبارات التي يراد تأويلها وتحريفها عن ظواهرها في العهود وسنبين ذلك بالتفصيل ان شاء الله تعالى

المسألة السورية والاحزاب

بينما كان العرب في سورية والعراق يمنون أنفسهم بالنجاة من طغيان الطورانيين وما سامهم جلادهم جمال باشا وغيره من سوء العذاب لى نعيم الاستقلال الصحيح والحرية التامة ويتلذذون بما يقرأون في المنشورات والجرائد التي تنقلها اليهم العيون أو تنثرها عليهم الطيارات (كالقبلة والمقطم والكوكب) كان السر مارك سايكس والموسيو بيقو «صديق العرب» يضعان أصول الاتفاق بين دولتيهما على اقتسام هذه البلاد بينهما ويضعان الخارطة[1] تحدد منطقة كل قسم منها كما فعل غيرهما من من رجال دول الاحلاف في بلاد الترك أيضا. وقد كان أول من كشف النقاب عن أسرار هذه المعاهدات السرية أحرار الروس لما أسقطوا حكومتهم القيصرية، ونشروا أسرارها المطوية ؛

وقد اشتهر أمر معاهدة تقسيم ولايات سورية والعراق بين فرنسة وانكلترة وكثر كلام الجرائد الاوربية والعربية فيه ولما ظهرت شروط الرئيس ولسن واتفقت الدول المتحاربة على جعلها أساسا للصلح باعتبار ما فسرها من خطبه التي نشرنا أهمها من قبل كان يظن أنها تنسخ هذه المعاهدة ونظائرها من المعاهدات السرية التي وضعت لاستيلاء الاقوياء على بلاد الضعفاء نسخا تاما، ولكننا وجدنا ان هذه عصبة

(١) الخارطة في الاصل اسم فاعل من خرت الارض يخرتها (من باب نصر) اذا عرف طرقها ومضايقها ومنه الدليل الخريت وهو الحاذق بذلك. وفي اللسان عن الكسائي: خرتنا الارض اذا عرفناها ولم تخف علينا طرقها اه فاذا أطلق لفظ الخارطة على الصحيفة التي يرسم فيها وجه الارض وما فيها من جبال وبحار وغير ذلك كان هذا الاطلاق صحيحا باعتبار ان الصحيفة المشتملة على ذلك كأنها وصفت به فهو وصف مجازي يكثر مثله في العربية

الامم الذي يحسب الرئيس ولسن أنه غير به نظام الدول والامم ونقل البشر من طور سافل الى طور عال من الحرية والسلام قد أجاز تقسيم بلاد الشعوب الضعيفة بين الاقوياء بشرط ان يسمى تصرف كل دولة فيما تأخذه منها وصاية وتوكيلا لا حماية ولا امتلاكا ولا استعمارا ، وزاد على ذلك أن الشعوب الراقية من أولئك الضعفاء التي يعترف باستقلالها موقتا بشرط قبول هذه الوصاية (أي بشرط أن لاتكون مستقلة) يسمح لها بأن يكون لها صوت في اختيار الدولة الموكلة بها ليكون ذلك حجة عليها. واذا احتج الضعيف على هذا بأنه مناقض لما قاله ولسن وأمثاله من كبار رجال دول الحلفاء من أن أحد أغراضهم الرئيسية من الحرب تحرير الشعوب المطلوبة واستقلالها اذ هو عبارة عن وضع اسم جديد للاستعمار والاستعباد يخدع الجاهلين ويصرفهم عن المقاومة — قال له من عساه يتعطف بالجواب ليس المراد من تحرير الشعوب غير الاوربية جعلها حرة كالاوربيين كما يفهم البله الذين يفسرون الالفاظ بما يرون في معاجم اللغة المخالفة لمعاجم السياسة وانما المراد منه انقاذها من حكامها الظالمين وجعلها تحت سيادتنا العادلة التي هي أصلح للشعب الضعيف من حرية مطلقة لا يقدر على القيام بعبائها وشؤونها ، واذا كان ما قارب الشيء يعطى حكمه فالقول في ما هو أفضل منه ؟

فاذا قيل ان صحت هذه النظرية فالمترقون الراقون في الحضارة من الافراد لمن دونهم خير لهم من الحرية فلماذا تحرمون استرقاقهم ؟ ثم لماذا تبيحون حرية الفسق والفجور للشعوب الجاهلة وأنتم ترون ما يجني عليها فشو الزنا والسكر من الامراض والفقر وفساد البيوت (العائلات) والامة؟ ان قيل هذا سكت لسان المقال، وصاح لسان الحال :

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

كان أولو الالمام بالسياسة من السوريين يعتقدون منذ آذن دول الحلفاء الدولة العثمانية بالحرب ان انتصارهم يفضي الى تقسيم بلادها بينهم على قاعدة مطامعهم القديمة فيها بأن تكون الاستانة لروسية وسورية لفرنسة والعراق لانكلترة، ولم تكن أقوال رجال السياسة منهم انهم يبغون تحرير الامم والشعوب مضعفة لاعتقادهم هذا ولكن منهم من حسن الظن بالرئيس ولسن اذ نادى بهذه النظرية وبوجوب تعميمها وتعميم

العدا تقدم التفرقة بين من يجب ان يعدل فيهم اذ حسبوا ذلك ناسخا ما جرت عليه اوربة من وجوب حصر حرية الشعوب في أقوامها دون الشعوب الاسيوية والافريقية، ومنهم من لم يحسن الظن به ولم يفضله على ساسة أوربة في شيء، وربما كان هؤلاء السيئو الظن هم الاقلين من أهل العلم بالسياسة ولكن سائرهم على رأي عامة شعبهم وعامة سائر الشعوب من حسن الظن والرجاء الى ان ظهر عهد عصبة الامم فقال المتمرسون بالسياسة ان قواعد ولسن وخطابه لم تأت بشيء جديد الا زيادة كلمات في معجم السياسة الخادع، وظل أكثر العامة يفهمون ان المراد من مساعدة الدول الموكلة للشعوب ليس الا عبارة عن امدادها بما يعوزها من المال والسلاح وغيره كما يرون من مساعدة انكلترة لحكومة الحجاز الموالية لها

هذا وان من المعلوم المشهور أن لكل من الفرنسيس والانكليز صنائع وأولياء من السوريين يلقون اليهم المودة، وطائفة كبيرة من صنائع فرنسة وأوليائها ولها أفراد من الطوائف أخرى قد خدموا رجالها في تكثير عددهم بعد احتلال سورية، وطائفة للدروز من صنائع انكلترة وأوليائها، وكذلك اليهود صاروا من أوليائها وعدها اياهم بجعل بيت المقدس وما حوله من سورية الجنوبية وطنا قوميا لهم يرجون أن يستعيدوا فيه ما فقدوا من الملك، وقد استمال رجالها بعد احتلال هذه البلاد كثيرا من أفراد الطوائف الاخرى واستمال اليها الامير فيصل كثيراً من المسلمين. زد على ذلك ان جمهور المتعلمين بالمدارس الفرنسية يفضلون فرنسة على انكلترة والمتعلمين بالمدارس الانكليزية والاميركانية يفضلون اميركة وانكلترة على فرنسة، وللدين والمذاهب تأثير عظيم في تفضيل دولة على دولة وأمة على أمة ودعاة الدين والمذاهب ما زالوا يتبارون في جذب قلوب من يربونهم ويعلمونهم في مدارسهم الى أنفسهم وينفرونها من المخالفين لهم

لم يكن للدولة التركية أدنى عناية بمقاومة دعاة النفوذ الاجنبي في بلادها ولا اهتمام بمعارضته بمثله فيها، ولا في بلاد أولئك الاجانب أو مستعمراتهم بالاولى، وليس لغيرها من أمم المشرق الاسلامية ولا لغيرها دولة ولا امارة لها دعاة يستميلون الناس باسم الدين ولا باسم الحضارة ولا المصالح، لهذا كان الذين ينفرون من

الترك بالتأثير الاجنبي أو بسبب الظلم وسوء الادارة — والذين يتوقعون انقضاء ما عليه الترك من سوء الادارة الى سقوط دولتهم واقتسام الدول الكبرى لها — لم يكن أحد من هؤلاء ولا أولئك يفكر في مستقبل بلاده الا وتتمثل له احدى الدول الاوربية الطامعة مسيطرة عليها متمتعة بخيراتها مستخرجة لكنوزها

كان الامر كذلك الى أن قام الاتحاديون الطورانيون من الترك ببث دعوة الجنسية التركية ومحاولة تتريك جميع الخاضعين لحكمهم من الاجناس الاخرى بالقوة القاهرة حتى دعوا هذه الاجناس دعاً الى المحافظة على جنسياتها ، واحياء ما أماته الجهل والاهمال من لغاتها ، ثم الى التفكر في حريتها واستقلالها ، فلما اتخذ الاتحاديون الحرب ذريعة الى تنفيذ خطتهم في القضاء على العرب في سورية والعراق بالقوة القاهرة وشرعوا ينكلون بهم تقتيلا وتصليبا وتغريبا ومصادرة وتخريبا — كما فعلوا بالارمن والروم — واشتعلت نار الثورة عربية في الحجاز وانضوى أميره الى دول الائتلاف المحاربة للترك والجرمان نمت آمال الذين كانوا يمقتون سوء العذاب في سورية وغيرهم من المراقبين بأن تكون لهم دولة عربية يكون المؤسس لها ملك الحجاز ، وكان النصارى كالمسلمين في تمني ذلك لان الشدائد التي ذاقوها بأنهم عرب، قد أزالت كل خلاف وشقاق كان بينهم

ولما احتل الحلفاء سورية بعد جلاء الترك عنها وأخذ جزء من جنوبيها عنوة أقاموا فيها ثلاث حكومات عسكرية على قاعدة معاهدة سنة ١٩١٦: حكومة انكليزية في سورية الجنوبية (فلسطين) لانها منطقة انكلترة، وحكومة فرنسية في سواحل سورية الشمالية لانها منطقة فرنسة، وحكومة عربية في الداخلية لانها منطقة العرب، وكانت كل حكومة تبث نفوذها في منطقتها حتى اعتقد المتمرسون بالسياسة من أهل البلاد في كل منطقة أنها صارت ملكا خالصا لمحتليها يكن الاسم الذي يسمى به هذا الملك . وكانت كل حكومة تشدد في منع الاتصال بين كل قسم من سورية وبين مصر بشدة المراقبة على البريد وشدة التدقيق في منح السفر من أحد القطرين الى الآخر الا لمن يوثق بمشايعته للحلفاء في سياستهم ثم لمن يوثق بأنه لا يخالفهم ولا يشتغل بسياسة غير سياستهم ، ذلك بأن من في مصر أجدر بمعرفة حقائق

السياسة وخفاياها من أهل سورية وسائر أقطار الشرق الادنى ، ولكن الاخبار والافكار كانت تنقل بالتدريج بتلقين بعض ضباط الجيش العربي وغيرهم من خدمة الحكومة العربية الذين كانوا يترددون بين مصر والحجاز وسورية، ثم بتلقين غيرهم وبما كان يحمل كل من الرسائل ، فعرف بذلك الكثيرون من أهل سورية حقائق المسائل ، وكان مما ترتب عليه قوة رجائهم بما يحبون من الاستقلال التام ، وضعف أملهم وتغير رأيهم في ارتباط سورية بحكومة الحجاز فلم يعد يرغب في هذا أحد يعتد به من الذين عرفوا حقيقة الحال، ولكن الامير فيصلا نجح بلطفه وسخائه وبمظاهرة الانكليز له في تأليف حزب كبير يرغب في جعله ملكا لسورية مستقلة

الاحزاب السورية

من فقه ماتقدم لم يعجب مما يراه من كثرة اختلاف السوريين في أمر بلادهم كما يعجب من لا يعرف من شؤونهم سوى الظواهر التي تتجلى له في جرائدهم ومجلاتهم وبراعتهم في التجارة بمصر وأوربة والممالك الامريكية ، وادارتهم لبعض أعمال الحكومة المصرية والسودانية،

قال عالم أوربي لشاب سوري من تلاميذه انني وقفت على كثير من شؤون السوريين الاجتماعية وغيرها وحضرت بعض أنديتهم ومحافلهم في أوربة و بينهم فرق يذكر لهذا أخذ مني العجب مأخذه لما علمت ان كثيرا منهم يطلبون ان يكون وطنهم تحت حماية أو وصاية أجنبية ، هذه خطة خسف وضعة لا يرضى لنفسه بمثلها من نعلم انهم أدنى من السوريين في كل علم وعمل ، وأقل شعوراً بمعنى الحرية والشرف...
ولو علم هذا العالم ان مصدر هذا الخسف والضعة بعض أولئك الذين اذا رآهم تعجبه أجسامهم وان يقولوا يسمع لقولهم دون الجمهور السوري الاعظم الذي لا يسلبه التفرنج ولا التعصب الديني ماعرف به السوريون وسائر العرب من الشمم والاباء ثم علم سائر ما أشرنا اليه من أسباب الخلاف لما احتقر السوريين كافة بما صدر عن الاقلين منهم بعذر من الاعذار التي أشرنا اليها في هذا المقال أو بغير عذر

من جراء ذلك ألف السوريون في البلاد وفي الممالك الامريكية ومصر عدة

أحزاب وجمعيات كلها تطلب الاستقلال لسورية برمتها متحدة غير متجزئة ومنها فلسطين ولبنان إما وحدها وإما متحدة مع العراق وجزيرة العرب ، وبعض اللبنانيين منهم يطلب ان يكون لبنان مملكة مستقلة ويضم اليه معظم ولاية بيروت وجزء من ولاية الشام مما يكثر فيه النصارى بحيث يكون أكثر أهلها منهم فتكون البلاد السورية مملكتين الساحلية منهما مسيحية والداخلية اسلامية ، بهذا صرح لي بعض كبرائهم وأدبائهم فما الظن بما يصرح به بعضهم لبعض ؟ ثم ان طلاب الاستقلال لسورية من هؤلاء السوريين المهاجرين منهم من يطلبه تاما مطلقا ناجزا كحزب الاتحاد السوري بمصر وبعض الاحزاب والجمعيات في الممالك الامريكية الموافقة لهذا الحزب ، ومنهم من يطلب استقلالا اداريا تحت وصاية إحدى الدول الاوربية الكبرى أو الولايات المتحدة

وأما السوريون الذين في البلاد فالسواد الأعظم منهم كانوا يطلبون الاستقلال المطلق الناجز مع الارتباط بالوحدة العربية التي يرجون أن تتألف من جميع الولايات العربية العثمانية على قاعدة اللامركزية ، وقد نشأت فيهم دعوة طلب الوصاية الاجنبية باسم المساعدة فراجت بين الكثيرين لاعتقادهم أنها عبارة عن مساعدة بالمال لاتنافي الاستقلال لا بتشريع ولا بتنفيذ فلما فهموا المراد منها نبذها الاكثرون .

أول حزب ألف بمصر (حزب الاتحاد السوري) وكان أعضاؤه المؤسسون من المسلمين والنصارى والدروز وأساس برنامجه الاستقلال التام الناجز ، والمراد بالناجز الحالي ، ويقابله الاستقلال المستقبل الذي يتوقف على مساعدة أجنبية ترشح الشعب له وتقوده اليه ان كانت تريد ذلك ، وانما فسرناه لأن بعض الناس لايفهم المراد منه حتى قالت احدى الجرائد السورية ان المراد بالناجز التام فجعلته تأكيداً للتام ، والمراد بالتام مايشمل السياسي والاقتصادي والقضائي وان كان مؤجلا

ألف الحزب أولا من فريقي الاستقلاليين والاحتلاليين وكانت المواد الاولى التي وضعت له مشتملة على الجمع بين النقيضين — الاستقلال والاحتلال — فكان كل فريق يقوي المادة الموافقة لمشربه ويدعي الاحتلالي انه استقلالي وأنه إنما طلب مساعدة موقتة للضرورة

وكلٌّ يدعي وصلا لليلى　　وليلى لا تقر لهم بذاكا

فاشتغلا بالجدل والنضال عدة أشهر كان الفلج فيها للاستقلاليين ، وكان الاحتلاليون يتسللون منه لواذا ، وينفضون مثنى وأفرادا ، وتقرر البرنامج المؤلف من أربع عشرة مادة بالاجماع في بعضها وبأكثر الآراء في بعض . ورضي كاتب هذه السطور بأن يكون من مؤسسي هذا الحزب المخالف لمذهبه السياسي في الجامعة العربية من وجوب اتحاد جزيرة العرب بالولايات العربية العثمانية للحرص على تعاون المسلمين مع النصارى على طلب الاستقلال التام الناجز لسورية بعد أن أطال الدعوة الى مذهبه فلم يستجب له من فضلاء النصارى بمصر الا أفراد قليلون ، ولأن التصميم على استقلال بعض الأقطار العربية لا ينافي السعي لاستقلال سائرها من طريق آخر كما صرحت به في بعض أبحاث جمعية الجامعة العربية . وأنا أصرح هنا بأني لم أكن موافقا على كل مواد البرنامج بل منها ما جرى النضال فيه بيني وبين بعض الأعضاء مع موافقة الأكثرين من الأعضاء لي ثم رجوع بعضهم الى رأي المخالفين لي ارضاء لهم لئلا يخرجوا من الحزب ، ولكنهم خرجوا بعد ذلك . على أن كل قانون وكل نظام يشترك في وضعه كثيرون يتقرر بعض مواده بالاتفاق وبعضها برأي الأكثرين

وتلا حزب الاتحاد السوري الحزب الفرنسي الذي يطلب جعل سورية برمتها (ومنها فلسطين ولبنان) مملكة واحدة مستقلة في ادارتها تحت حماية فرنسة أو وصايتها ولم يوجد في مؤسسي هذا الحزب أحد من الطوائف الاسلامية الا حقي بك العظم ومختار بك الجزائري . وتلاه الحزب الحر المعتدل الذي يتفق مع الحزبين السابقين في طلب وحدة سورية وحدودها ويخالفهما في طلب جعل حكومة الولايات المتحدة وصية على سورية ومساعدة لها على الاستعداد للاستقلال التام المطلوب . وليس في مؤسسي هذا الحزب أحد من الطوائف الاسلامية التي تبلغ أربعة أخماس أهل سورية

وكان في مصر قبل هذه الأحزاب بل قبل الحرب أيضا جمعية تعرف بجمعية الاتحاد اللبناني تطالب الدولة العثمانية بحقوق لبنان المعروف أو الصغير فتحولت بعد الحرب الى مطالبة الحلفاء باستقلال الجبل وتوسيع حدوده وجعله تحت حماية جميع الدول

الكبرى . وكان لمهاجري لبنان في البلاد الامريكية جمعية أخرى تعرف بجمعية النهضة اللبنانية تطالب بتوسيع حدود لبنان وتقوية استقلاله وجعله امارة ذات علم خاص وجعل أميره أوروبيا يطلب اختياره من الدول الست الضامنة لاستقلال الجبل ولهم مطالب أخرى متعارضة نشرناها في المجلد السابع عشر ثم كانت هذه الجمعية من طلاب الحماية الفرنسية وبعد انكشاف الحقائق تغير رأي موسسيها في ذلك وأشيع ان رئيسها المندوب عنها في باريس طلب الاستقلال التام وانضم الى جماعة الامير فيصل . والجمعية الاتحاد اللبناني فروع في البلاد الامريكية وفي لبنان نفسه . وكان أكثر طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك من غير أعضاء هذه الجمعية يودون أن يكون لبنان وكذا سائر سورية تحت حماية فرنسة كجمعية النهضة اللبنانية ، ولما انتهت الحرب بظفر الحلفاء وأعلنوا ان الولايات العربية لن تعود الى الحكومة التركية وتألفت الاحزاب السورية للمطالبة باستقلال سورية على ماتقدم بيانه انضم الى كل من حزبي الاتحاد السوري والحر المعتدل كثير من أعضاء الجمعيتين ودخل أناس منهم في أحزاب أخرى استقلالية واحتلالية من طلاب وصاية الولايات المتحدة أو وصاية دولة غير معينة وبقي بعضهم ثابتاً على المطالبة بفصل لبنان من جسم سورية

الذي نعلمه أن حزب الاتحاد السوري فاق غيره في بث دعوته في سورية والمهاجر السورية لانه هو تبرع جميع أعضائه بالعمل وظفت له عمال للادارة والترجمة والنسخ واستمان على عمله بسخاء رئيسه ميشيل بك لطف الله وشقيقه جورج بك الذي تبرع له في أول تأسيسه بألفي جنيه مصري حتى كان ينفق في بعض الايام بضع مئين من الجنيهات أجور برقيات الى أوربة وأمريكة حيث أجاب دعوته خلق كثير و بث دعوته في جميع البلاد السورية ولم يستطع ذلك غيره . وأما الحزب الحر المعتدل أو الامريكاني رجع اليه كثير من الاحتلاليين الذين كانوا راضين بوصاية فرنسة من مهاجري السوريين في مصر وأمريكة وقليل من الاستقلاليين فظلوا هم السواد الاعظم ولاسيما في البلاد نفسها ولم يكن له فروع ولادعاة فيها، على أن الدعوة الى طلب مساعدة الولايات المتحدة قد ظهرت قبل تأسيس هذا الحزب في كل مكان، ونسبتها الجرائد الانكليزية الى الامير فيصل منذ كان في أوربة ثم اشتهر انه بث هذه الفكرة في سورية بعد

عودته اليها ثم فكرة الدعوة الى مساعدة انكلترة اذا لم تقبل حكومة الولايات المتحدة ، وهذا هو الذي وقع كما سنبينه بعد . ومن البديهي أن السوريين الذين في الولايات المتحدة وفي غيرها من الدنيا الجديدة كان كثير منهم قبل ذلك يفضل مساعدة الولايات المتحدة على مساعدة كل دولة أوربية، بل قلما يفضل دولة أوربية على الولايات المتحدة في هذا الامر أو ما يشابهه من كل ما يطلب الخير والانسانية الا جاهل غبي، أو متعصب غوي، أو مستأجر دني، وما كل من طلب مساعدة دولة اخرى ابتداء يفضلها على حكومة الولايات المتحدة في ذلك بل منهم من طلب غيرها لليأس منها، ومنهم من نفرمنها باقناعه بأنها مبالة إلى مساعدة اليهود على امتلاك الارض المقدسة وجعلها وطنا قوميا لهم . والاستقلاليون يفضلونها على غيرها أيضا ولكنهم لا يرضون ان يكون لها أدنى سيادة أو سلطان في بلادهم بأي اسم من الاسماء

وجملة الاقوال في الجمعيات والاحزاب انها على كثرتها ترجع الى هذه الثلاثة الانواع وان تأليفها كان خسارا على نفوذ فرنسة فقد كان أكثر طوائف النصارى معها فصار أكثرهم عليها فا لقول في المسلمين وكلهم استقلاليون الا الشاذ النادر الذي لا حكم له ؟

لجنة الاستفتاء الدولية

كان مؤتمر الحلفاء عزم على ارسال لجنة دولية الى سورية وغيرها من بلاد الدولة العثمانية لتقف على رأي أهل البلاد في أمر مستقبلها وشكل حكومتها والدولة التي تفضل ان تندب لمساعدتها على الاستعداد للاستقلال المعترف لها به موقتا الى أن تصير قادرة على النهوض به وحدها ثم اكتفى بجعل اللجنة من فضلاء الامريكيين فأحسن صنعا لان هؤلاء أبعد من الاوربيين عن الهوى في هذه المسألة

طافت هذه اللجنة أمهات البلاد في الولايات والمتصرفيات الممتازة والتابعة للولايات وقابلت في كل منها رجال الاديان والاحزاب والجماعات المنتخبة وممثلي الاندية العلمية والادبية والجمعيات — فظهر لها أن السواد الاعظم من الاهالي يطلب الاستقلال التام الناجز ولا يرضى أن يكون لدولة أجنبية حماية على بلاده ولا وصاية ولا مساعدة تمس الاستقلال ، ويزيد أهل سورية الجنوبية (فلسطين) التصريح

بمنع مهاجرة اليهود الصهيونيين الى بلادهم ، وأهل سورية الشمالية يوافقونهم على ذلك كما صرح به الوفد السوري الآتي ذكره وغيره وأنه اذا أصر مؤتمر الصلح على ندب دولة من الدول العظمى لمساعدة الاهالي على النهوض بأمر الاستقلال فيشترطون أن تكون هذه الدولة هي الولايات المتحدة الامريكية لانها غير استعمارية ولا طامعة في البلاد وأن تكون مساعدتها موقتة لا تزيد على ١٥ سنة أو ٢٠ وأن تكون في الامور الفنية والاقتصادية التي لا تمس الاستقلال ، وصرح بعضهم بعدم قبول المساعدة البتة وبعضهم بطلبها من الولايات المتحدة دون سواها وبعضهم من انكلترة وأكثر هذا الفريق من الدروز ، وبعضهم من فرنسة وأكثر هؤلاء من موارنة لبنان وبيروت ، وما كل الموارنة يرضى بوصاية فرنسة ومساعدتها . وأما المسلمون فقد صرحوا في كل بلد بعدم قبول مساعدتها بحال من الاحوال وما شذ الا أفراد لا يعتد بهم . ولاجل الفرار من مساعدتها أو وصايتها قال بعض المرجحين لمساعدة الولايات المتحدة انها اذا لم تقبل فانهم يرجحون انكلترة على غيرها بالشروط التي رجحوا بها الاولى اذا كان لا بد من هذه المساعدة التي احتجوا عليها وعلى المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الامم المتضمنة لها

ذلك بأنه تألف في سورية مؤتمر بأمر الامير فيصل لاجل مقابلة لجنة الاستفتاء واطلاعها على رأي أهل البلاد ووضع (مشروع) قانون أساسي لها انتخب أعضاؤه في أكثر البلاد من قبل المنتخبين الثانويين الذين انتخبوا نواب البلاد في مجلس المبعوثين العثماني الاخير ومنهم أعضاء من طوائف لبنان كلها لا ندرى كيف انتخبوا ، ولم يمكن اقناع هؤلاء ولا غيرهم بالرضاء بمساعدة الولايات المتحدة ثم انكلترة بالشروط التي أشرنا اليها الا بعد ان بثت الدعوة فيهم بهذه الصفة : ان انتداب دولة من الدول الكبرى لمساعدة البلاد على السير في سبيل الاستقلال أمر مقرر في المؤتمر لا مرد له ، وان فرنسة تمت الى المؤتمر وجميع الدول بدعاوى كثيرة لتديها لذلك أهمها ان أهل البلاد يفضلونها ، وان لها صنائع يصدقونها ويطلبون مساعدتها ، فاذا اقتصر الاكثرون على طلب الاستقلال بدون مساعدة ، أيخشى ان ترجح فرنسة بحجة أن بعض الاهالي يطلبها والآخرون

لايفرقون بينها وبين غيرها. بناء على هذا وعلى العلم بأن رئيس الحكومة البريطانية صرح بأن دولته لا تقبل الانتداب لمساعدة سورية — لان ما بينها وبين فرنسة من عهد وميثاق يحول دون ذلك وما هو بالذي يجعل قصاصة ورق — وضع المؤتمر القرار الذي قدمه إلى لجنة الاستفتاء وسنذكره بنصه في مكان آخر من المنار

اذا لم يكن جميع أعضاء المؤتمر الذي قرر هذا منتخبين من الامة لينوبوا عنها فيه فقد جعلهم في معنى المنتخبين موافقة أكثر من استفتهم اللجنة لهم كما شرحته الجرائد السورية في بيانها لاعمال اللجنة في البلاد المحتلة. فجاء ماتقدم كله مصدقا لما كنا قلناه مرارا لبعض الباحثين معنا من الاجانب والوطنيين، وهو أن السواد الاعظم في سورية يطلب الاستقلال التام المطلق — ولله الحمد من قبل ومن بعد

السيد الزهراوي

تتمة ترجمته بقلم صديقه الشيخ أحمد نبهان الحمصي

في أول سنة من مبعوثيته وقعت حادثة ٣١ مارت الشهيرة فحوصر المجلس من قبل العسكر بحجة الارتجاع عن الدستور وهددوا المبعوثين بالرصاص حتى أنه قتل أحدهم محمد بك أرسلان مبعوث اللاذقية رميا بالرصاص في باب المجلس ومنهم من رمى نفسه من إحدى النوافذ العالية حتى تحطم خوفا على نفسه من القتل وفر كثير من المبعوثين حفظا لحياتهم وبقي المترجم رحمه الله تعالى مع بضعة أشخاص ثابتي الجأش غير مبالين بتلك القوة الهائلة التي تهددهم وهم يخابرون المراكز بالتلفون يذكرون الواقعة وما هم فيه حتى كادت تلك القوة أن تقضي على بقية المبعوثين ثم خرج المترجم يخترق صفوف العساكر بلا اكتراث حتى وصل إلى منزله وانفض الجمع

هذا الثبات في مثل هذا الموقف الحرج مما يدل على شجاعته وقوة يقينه

على أثر هذه الحادثة التي شاع خبرها حتى بلغ الروملي مكبرا زحف محمود شوكت باشا بجيوشه ليضرب الآستانة لحماية الدستور ولينكل بالارتجاعيين وبالذين أثاروا هذه الفتنة فأرسلت الحكومة اذ ذاك هيئة مؤلفة من الأعيان والمبعوثين

لمقابلة الباشا وإبلاغه حقيقة الحال وكان صاحب الترجمة من أعضاء تلك الهيئة الموقرة فاستقبلوه في (بإستانوس) من ضواحي الآستانة وأوقفوه على جلية الخبر الشائع ونظفوه في سمعه حتى سكت غضبه وسكن جأشه ودخل بغير إزعاج لأحد

وفي أثناء تلك المدة — أعني الدورة الأولى لمجلس المبعوثين — أصدر المترجم جريدة عربية في الآستانة سماها (الحضارة) بشركة شاكر بك الحنبلي ثم انسحب هذا الأخير منها إذ تعين متصرفا للواء عكا بعد انذار الحكومة له

وكان السبب في انشاء تلك الجريدة أنه لما بلغ الاتحاديون مابلغوا من الأثرة والاستبداد وتسميم الافكار بالجرائد التي أنشأوها لبث أفكارهم السوءى وتصويرهم الحال بصورة الحقائق تأسس الحزب الحر المعتدل لمعارضتهم وكان معظم مؤسسيه من مبعوثي العرب وحزب الائتلاف وكان معظم مؤسسيه من الترك ثم امتزج الحزبان باسم حزب الحرية والائتلاف وكان المترجم من مؤسسي الحزبين المذكورين لمعارضة حزب الاتحاد والترقي فأصدر جريدته (الحضارة) باللغة العربية للمحافظة على مبدأه الثابت وهو الاعتدال المحض حتى كان رفاقه يلومونه لشدة هذا الاعتدال والتروي وحتى أن كبار الاتحاديين كانوا يمدحون من اعتداله مع معارضته لرأيهم وكان كثير منهم يقول ليت جميع المعارضين مثل هذا الحر المعتدل

« والفضل ما شهدت به الاعداء »

وفي أثناء تلك المدة أيضا وقع اضطراب واختلال في الروملي فعينت الحكومة يومئذ لجنة من الاعيان والمبعوثين للكشف عن أحوال تلك البلاد وكان المترجم رحمه الله تعالى من أعضاء تلك اللجنة

وفي أثناء مدته نشبت الحرب في طرابلس الغرب فصعد المترجم منبر الخطابة في المجلس وهيج الخواطر وحرك السواكن ثم أجهش في البكاء فقال له بعض الحاضرين من المبعوثين لا تبك فانا سنستردها فقال : أنا لا أبكي على طرابلس الغرب ولكني أبكي على الروملي وسورية والحجاز والعراق

من تأمل هذه الجملة الجوابية منه يعلم أنه قد لمح من وراء حجب الغيب ما سيكون في المستقبل استنباطا حدسيا من سوء تدبير من بيدهم الحل والعقد ، وقد

اتفق مثل هذا لغيره من أصحاب الروية والحدس ، فوقع ما توقعوه ولله الامر من قبل ومن بعد

في مدة اقامته في الآستانة سواء كان مبعوثا أو لم يكن كان بيته مجمع الفضلاء والادباء على اختلاف لغاتهم ، والكبر، مع تفاوت رتبهم ، يستمدون من آرائه السديدة . عرف هذا من شاهده بالعيان حتى كانت جلساته على مراتب لكل فريق وقت يقضيه فيأتي فريق آخر حتى تنقضي الساعة السابعة بل الثامنة من الليل

وكان مع كل هذا لا يأخذه ملل ولاضجر ولا سآمة مما يدل على سعة صدره وحسن مجلسه

في أواخر هذه الدورة للمجلس حصلت مناقشة بشأن المادة ٣٥ من القانون الاساسي ووقع الخلاف الشديد حتى آل الامر الى فض المجلس وتجديد الانتخاب ثانية فعاد المترجم رحمه الله تعالى الى وطنه وزيارة أهله وذويه ، فأوحت الحكومة الاتحادية الى جميع المراكز وأوعزت للحكومات أن يكون انتخاب المبعوثين ممن لا يخالف رأيهم ، وكانت تواصل التلغرافات والمندوبين الى المراكز بالوعد والوعيد والتخويف والتهديد ، لهذه الاحوال وشدة الضغط ما تمكن الاهالي من انتخاب المترجم لان حريتهم سلبت حتى امتنع كثير من التصويت

على أثر ذلك سافر الى الاستانة للقيام بأشغال الجريدة فانعقد المجلس من مبعوثين صار تعيينهم من قبل الاتحاديين في الباطن وان كان في الظاهر بالانتخاب

ثم تغلب حزب الائتلاف على حزب الاتحاد وتشكلت الوزارة ففضوا ذلك المجلس الجديد فعاد المترجم الى وطنه فوقعت حرب البلقان فصرف النظر عن الانتخاب الى أن تضع الحرب أوزارها

في ذلك الاوان سافر الى مصر فانتخب من حزب اللامركزية المؤلف هنالك رئيسا للمؤتمر الذي انعقد في باريس لاجل مطالبة الحكومة التركية باصلاح بلاد العرب واعطاء هذه الامة المهضومة حقها القانوني المهضوم وقد طبعت مقررات المؤتمر والخطب التي ألقيت فيه فلا حاجة الى بيان ذلك

وفي اثناء اقامته في باريس كان محل اعجاب الجميع في اعتداله . اذا طالعت تلك المقررات المطبوعة وتلوت ما فاه به رحمه الله حكمت له بذلك الاعتدال وبأن ذلك الاعجاب به كان بحق. وحسبك شهادة الاجانب فان جريدتي الدتان والطان — وهما من أكبر الصحف الفرنسية وأشهرها — قالتا كما نقلته الجرائد المصرية والسورية في ذلك الحين « ان السيد عبد الحميد افندي الزهراوي كان للمؤتمر بمثابة الدماغ من الجسد » وذلك بمناسبة ترؤسه للمؤتمر وحسن ادارته له

وكان مدة اقامته في باريس موضع التبجيل والاحترام، واجتمع بالموسيو بيشون ناظر خارجية فرنسة في مقر النظارة فأعجب به غاية الاعجاب وأنزله منزلة الاكرام

بعد أتمام وظيفة المؤتمر انفض أعضاؤه وبقي المترجم رحمه الله تعالى هناك مع نفر من رفاقه مطالبين بالاصلاح العربي وتحركت حكومة الاستانة للتحيل على جلبهم فأرسلت مرقبا مدحت شكري بك كاتب عمومي لمركز الاتحاديين والمرحوم عبد الكريم الخليل لاسترضائهم واخراجهم خدعة ومكرا منهم فعادا بالخيبة وما نالا غاية ولا مقصدا ، فأعادوهما ثانية ودنوا لها ووعد جماعة المؤتمر باجابتهم الى مايلزم من الاصلاحات للبلاد العربية فوعدا وقسما الايمان على ذلك فحضر عندها المترجم الى الاستانة اعتماداً على أيمانهم الكاذبة المبنية على الخداع والمكر وعين عضواً في مجلس الاعيان ليشرف على انجاز وعدهم ، فبقي ينتظر تلك المواعيد الفارغة (وناهيك بمهارة الاترك بالمواعيد) الى ان نشبت الحرب العامة بسوء تدبير الرؤساء الذين أهلكوا الحرث والنسل وضيعوا ذلك الملك العظيم من أيديهم وكان من لوازم ذلك اعلان الادارة العرفية في البلاد ، فجعل جمال باشا قائداً عاما في سورية بصلاحية واسعة لتنفيذ أوامر الجمعية الخادعة بالاصلاح الذي كانت تنويه وهو الانتقام من متنوري أبناء العرب ونابغيهم واتخذوا الحرب فرصة لتنفيذ ما تكنه صدورهم من الضغائن على هذا الجنس الشريف

صلب المترجم بدمشق الشام مع جملة من وجهاء البلاد السورية بلا محاكمة ولا سؤال منه عن شيء وذلك ليلة السبت ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هجرية و٢٣ نيسان

سنة ٩١٦ ميلادية وكان لسان حاله يقول

يا جزع نح وابك واندب جثةخلقت　　من يوم «قالوا بلى» للضنك والمحن
وحيِّ أهلا وجيرانا وآونة　　حيِّ الرفاق وحيِّ بسائر الوطن
حبا بصالحهم أصبحت فديتهم　　ليقطفوا ثمرا من راحتي جني

﴿ صفاته رحمه الله ﴾

كان مستجمعا لصفات الكمال. وقورا ذا ذهن حاد وفكرة واسعة وذاكرة عجيبة يتوقد ذكاء، وملامحه أكبر دليل على ذلك، واسع الصدر سليمه، لين الجانب، بطيء الغضب لا يقابل أحداً بمكروه، لا يمل من جليسه كيف ما كان ولا جليسه من محادثته، يعاشر كل انسان على قدر علمه، أكثر أحاديثه في مجالسه مما يعود بالفائدة لا يستغيب أحدا ولا يحب أن يغتاب أحد بحضوره، قليل الكلام الفارغ، كثير التفكر، أبي النفس، شجاعا شديد الصبر على الشدائد، قوي اليقين بربه تعالى، كريم الخُلق، جميل الخَلق والهيئة، يحبه من يراه لاول وهلة، عظيم النفس، لا يبالي بزخارف الدنيا بعيدا عن التكلف، شديد البحث والتدقيق في المسائل، يتتبع الادلة والمستندات وقافا عند الحق، يحب أن تكون الحجة مع غيره ما أمكن، معتدلاً في شؤونه كلها، متمسكا بعبادته محافظا عليها، عرف ذلك منه كل من عاشره حق المعاشرة

﴿ مكتوباته رحمه الله ﴾

كتب في مواضيع عديدة كلها فوائد — منها ما حوته جريدته الحضارة التي أصدرها في الاستانة ثلاث سنين، ومنها مقالات في التربية كان ينشرها في جريدة ثمرات الفنون البيروتية قبل اعلان الدستور، ومنها ما نشرته المؤيد والمعلومات العربية والجريدة والمنير وخلافها من الجرائد المصرية والسورية. وكتب في مجلة المنار عدة مقالات. وله كتاب نظام الحب والبغض نشر منه في المنار عدة فصول، وما أكمله لموانع سياسية. ومنها رسالة في الفقه والتصوف وهي التي نوهنا بها قبلاً وأخرى في الامامة، ورسالة ترجمة السيدة خديجة سلك فيها مسلكا عربيا لطيفا أبدع فيه كل الابداع، وأتى بكل ما يستطاع. من طالعها حق المطالعة يقف على مقدرة

هذا المترجم واطّلاعه وسلامة ذهنه وسلامة قلبه ودقة فكره ونزاهة سره، ولا سيما الابحاث الاخيرة منها، وقد طبعت بمطبعة المنار وكانت نيته أن يجعلها الحلقة الاولى لسلسلة تاريخية فحالت دون ذلك أشغال قامت مانعا عن اخراج هذا الفكر الى حيز الوجود . ومنها رسالة في النحو وأخرى في المنطق وغيرها في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع وكتاب في الفقه بأسلوب قريب المأخذ سهل العبارة يدعم مسائله بالادلة الدامغة [1] وله محاضرات كان يلقيها في بيروت وحمص أيام ذهابه الى الآستانة وعودته منها

وله مكتوبات غير ما ذكر بقيت مسودة بخطه اغتالتها أيدي الاتراك عند ما أرسل من الاستانة الى (عاليه) مركز الديوان العرفي الذي أسسه جمال باشا المخذول

وله شعر لطيف في كل باب من أبواب الشعر ومقطعات ومساجلات مع بعض أصحابه ومراسلات كلها رقائق

من ألطف شعره القصيدة العصماء في موضوعها وحسن أسلوبها ودقة معناها وقد أثبتها برمتها ليقف المطالع لها على رسوخ قدمه رحمه الله تعالى وبعد أفكاره وحسن يقينه واعتقاده وهي هذه

لا تكذبنّا يا بصر لا تخدعينا يا فكر
ان الحقائق تحت طي الـ شر فوق المنتظر
لكن برؤيتها دعاوي الـ ناس تعيي من حصر
وسوى سراب لم يروا والآل كم غر النظر
أني التصور يا حجا السر في هذي الصور
الكون مبني على الـ حركات كل في قدر
مجموع ذر يقتضي كل لها ضم الاخر
والارض تجمعنا فنحـ ـسب أنها احدى الكبر

(1) المنار : كان سبب تأليف هذا الكتاب محاورة طويلة دارت بيننا وبين الفقيد من جهة واحمد فتحي باشا زغلول أيام كان وكيلا لوزارة الحقانية بمصر من جهة أخرى ولو تم على عهده الباشا لسعى الى طبعه على نفقة الحكومة لاجل العمل ؟ [illegible]

والشمس تعرتيا لنا … فتظننا المنى الاغر
صور تغيّرُ لا نعي … صفة لها غير الغيَر
ويجل مصدر أمرها … عن أن تحيط به الفكر
هو مصدر بوجوده … تقضي اشتقاقات الاثر
وتحيرت في ذاته … وصفاته فطن غرر
والخبرة المثلى التيا … عد عن دعاوٍ فلخبر
كم مدعٍ لمعارف … عليا عرف بالنكر
ما أنت يا انسان هل … تدري دماغك لم شعر
أفأنت تدرك من جميـ … ـع الكون عنه قد ظهر
ام ذي الدعاوي باقي … أأحاط منك به البصر
أأحاط منك به الحجى … خبرًا كما هو فانسبر
أعرفت من قبل الوز … ر كل تفصيل لاثر
أعرفت هذك النضا … ء وما به من كل ذر
دع ذلك دعوى واستمـ … ـع قوة منها حاضر
الناس عذّر في الغرو … ر ولاجؤن الى المرَر
ويرى بنو الانسان أن … هو خلاصة ما فطر
دعوى بها يسلون ما … يلقون من تعب وضر
فهمو رهان الكدح ما … داموا وتلك هي السير
ذوالحال تائب من مضى … والعمر جملته خبر
صبيان ذي لا نعام في … حاج الحياة وذا البشر
فتسل فيما اسطعت ان … فكرت فيما قدحضر
واعبر على المقياس من … ما ضي الى ما ينتظر
واعلم بأن المفلحيـ … ـن بذي الحياة أولوا الصبر
والكون ظرف جواهر … والسر فيه ما ظهر

الشيخ محمد كامل الرافعي

٢

وورث المترجم من والده فقه النفس، وحسن الهدي والسمت، والصفاء وحسن النية، وحب التصوف وأخلاص الصوفية— ولكنه لم يتسن له من السلوك ما تسنى له— والاشتغال بآداب اللغة فكان منثوره كمنثوره وقلت عنايته بالمنظوم فلم يبلغ فيه شأو الوالد وانما بلغها وفاقها أخوه عبد الحميد بك شاعر طرابلس المشهور وقد أشرت الى ذلك في رثاء الوالد :

وان عدا فيه كل الفضل مجتمعا فقد تفرق في أبنائه النبلا
فللمعارف والارشاد كاملهم من حالف العلم فيه الهدي والعملا
وفي البلاغة كم عبد الحميد سما والتحدي بها آي البيان تلا

وكان أيضاً يحذو حذو والده في التأنق في مطاعمه وملابسه حتى انه كان يتولى شراء ذلك بنفسه واذا لم يعجبه ما يريد من الخضر والفاكهة وغيرهما في السوق القريبة من داره يذهب بالخادم الى سوق أخرى، فكان من أهنأ الناس معيشة جمعه بين التمتع بالطيبات وتقوى الله تعالى والرضاء بما قسمه له . ولكنه ترك التأنق في اللبس في أواخر عمره

وورث من استاذه الشيخ محمود نشابه حب الاستقصاء والتحقيق في العلم فكان بعد زمن الطلب والتلقي عن الشيوخ عاكفا على مطالعة أشهر الكتب وأعوصها إما وحده واما بالمشاركة مع بعض أصدقائه من أهل العلم كالشيخ محمد الحسيني والشيخ محيي الدين الجفار والشيخ عبد اللطيف نشابه نجل الشيخ محمود نشابه. لما بدأت بطلب العلم ألفيته يطالع مع صديقه الشيخ محمد الحسيني الذي هو أشهر علماء طرابلس اليوم أشهر كتب المنطق والاصول والكلام كسلم العلوم ومسلم الثبوت والمواقف والمقاصد ولم أدرك زمن حضوره دروس الشيوخ الا درس (نيل الاوطار) على والده ولم يتمه .

والفصل بينه وبين استاذه الشيخ محمود نشابه ان استاذه واستاذنا هذا وقف في العلوم عند غاية فهم أشهر الكتب التي تلقاها في الازهر والتي قرأها للطلبة فرضي لنفسه بما

صححه فقهاء القرون الوسطى ومتكلموها ومفسروها ومحدثوها وغيرهم من علماء اللغة والمعقول ، وكان يصرف سائر وقته في العبادة وأكثر عبادته تلاوة القرآن . وأما المترجم فقد طلب العلم من سن التمييز الى منتهى الاجل فلم تكن نفسه تقف في العلم عند غاية ، وإذا لم تطمئن بما قاله أشهر المدققين وما صحح في أشهر الكتب المتداولة يظل يبحث وينقب الى أن يصل الى ما يرتاح له ويقتنع به . ولهذا كان يبحث ويسأل دائما عما يطبع في مصر والهند من الكتب الجديدة ويستحضر ما يعجبه ويرجو فائدته منها فهو أول من أطلعنا على مؤلفات السيد حسن صديق خان ملك بهوبال وعلى زاد المعاد في هدي خير العباد المطبوع في الهند وعلى سلم العلوم ومسلم الثبوت وروح المعاني وغيرها من مطبوعات الهند ومصر

وورث من أستاذه الشيخ حسين الجسر الميل الى الوقوف على حالة العصر العلمية والاجتماعية والسياسية والمدنية بمطالعة المجلات والجرائد والاقتناع بشدة حاجة المسلمين الى مجاراة الامم الغربية في العلوم والفنون التي عليها مدار العمران والقوة في هذا العصر مع المحافظة على أصول ديننا وهديه وآدابه التي تفضل كل ما عليه تلك الامم وغيرها مما يخالفها، وكثير مما هي عليه موافق لها أو مقتبس منها. فكان المترجم بهذه المزية محبوبا محترما عند العوام والخواص من المسلمين وغيرهم ولو انه وفق لنزع قلادة التقليد من عنقه ووجه عنايته الى حل مشكلات المسائل بالاستقلال التام في الفهم بدلا من كثرة مراجعة الكتب لكان بما أوتي من الجد والاجتهاد والاخلاص ولانصاف في البحث آية في التحقيق وحل المشاكل، على انه كان على مقربة من ذلك

ولولا أن شغل بعمل الحكومة عن التدريس والتصنيف لكان للامة من سعة اطلاعه وفقه نفسه وحسن بيانه عدد غير قليل من العلماء الذين يجمعون بالتخرج على يديه بين العلم والعمل للامة والملة، ومن المصنفات النافعة التي يخرج بها علمه وفهمه من حيز الاجمال الى حيز التفصيل، ومن محجبات الصدور، الى سافرات السطور، فانه رحمه الله تعالى كان من الاولين الذين طلبوا العلم لله لا للمال ولا للجاه، وقلما تصدى طلابهما التدريس والتصنيف إلا بغيتهما ، وباعث الرغبة فيهما ، وآية ذلك أن ترى أكثر تلاميذهم يبيعون العلم في سبيلهما ، وأكثر تصانيفهم خالية من كل

ما تصلح به الانفس وتهذب به الاخلاق ، وفاقد الشيء لا يعطيه

أخلاقه وآدابه

وأما أخلاق الرجل وآدابه فقد كانت المثل الذي يضرب للمروءة ، والإمام الذي ينصب للقدوة : عفة وصيانة ، صدق وأمانة ، جود وسخاء ، عزة وإباء ، نجدة ومروءة ، شجاعة ونخوة ، رقة ورحمة ، وفاء وعلو همة ، وناهيك بصبره وثباته ، وحبه الخالص وإخلاصه لذي رحمه وإخوانه ، فقد كان للاسرة الرافعية الكثيرة العدد في القطرين الشامي والمصري كالوالد العطوف ، والأم الرؤوم ، يقوم لكل منهم بما تقتضيه حاله من غنى وفقر ، وصحة ومرض ، كان من زار طرابلس من المقيمين في القطر المصري منهم يرى من حفاوته به وإقامة المآدب النفيسة له والعناية بخدمته والقيام بشؤونه مالا ينتظر مثله من والد حفي ، ولا ولد بار تقي ، ولا صديق فتي وفي ، ولا أمير سخي أبي

توفي أخوه أحمد أفندي في اليمن وكان حاكما إداريا في بعض بلادها العثمانية وترك غلاما وجارية صغيرين حضنتهما أمهما ثم بلغه أنها تزوجت فخاف ان يكون ذلك مضيعة لهما فأخذ جازة من الحكومة وسافر الى اليمن لاجل احضارهما وتولي تربيتهما ، وبعد البحث عنهما في اليمن علم أن زوج أمهما رحل بها وبهما الى العراق عاملا للحكومة فسافر الى العراق في المحيط الهندي في فصل الصيف اذ يشتد اضطرابه واصطخابه حتى ان أمواجه لتجرف الناس عن ظهور البواخر أحيانا فيضطر البحارة العاملون على الظهر الى ربط أنفسهم بالحبال ، وفي مثل ذلك البحر في ذلك الزمن يظهر للمسافر انه لا مبالغة في تشبيه التنزيل للموج بالجبال ، فما حدث به المترجم وغيره ان السفينة عند ما تقع بين موجتين ترى كأنها في واد عميق من أودية الجبال. وقد عجب كل من لقيه في سفره هذا من أهل اليمن والعراق كأهل وطنه السوري من شدة غيرته وعلو همته وتفانيه في سعيه لكفالة هذين الولدين وما كان من غبطته وسروره بالظفر بهما بعد ما كابده في سبيلهما من المشاق والاهوال ، وبذل مايفوق طاقته من المال ،

وقد قال فيه أخوه الصغير (وهو لاب): والله لم يمض فقد أبي كفقدي أخي،

فقد كفاني قصص اليتم بعطفه وبره وإحسانه ، ثم أدبني فأحسن تأديبي بقوة روحه وسعة فضله وبيانه » اهـ

أقول: كذلك كان عطفه ووفاؤه لأصدقائه وإخوانه يكاد يضاهي بره وإحسانه بذي قرباه ورحمه، فكانت داره مثابة لهم في كل وقت من ليل أو نهار، ولكن عنايته بهم كانت أشد، وزيارته لهم أكثر، وقد أجمع على حبه والاعتراف بفضله والثقة بإخلاصه النصارى كالمسلمين ، ولم نر دارا من دور علماء الدين في طرابلس كداره يتردد عليها أهل الوجاهة والأدب من جميع الطوائف . ولا يظن القارئ أن سائر علماء طرابلس جفاة أو متكبرون ، أو ضرب على أبواب دورهم حجاب من التعصب الديني فلا يزورون ولا يزارون ، كلا إنهم بالرقة والعطف مشهورون ، ولكن الفقيد كان ممتازاً فيهم وفي سائر الناس، بما ذكرنا من الشمائل والصفات ، كما أنه كان ممتازا بين رجال الدين بالعناية بشؤون السياسة والعمران ، لأن نفسه كانت تعشق جميع المعارف والحقائق وتطلب فيها الكمال

كتب إلي أخوه عمر أفندي صاحب العبارة التي ذكرناها آنفا وهو أصغر إخوته، وأشدهم عشقا لمذهبه واستعذابا لمشربه ، جملة بمعنى ما تقدم في وصفه ، قال :

« كان رحمه الله على حصة موفورة من العلم والفضل ومكارم الأخلاق عزوفا عن عن اللغو واللهو، ولوعا في البحث والدرس، كثير التنقيب عن نفائس الكتب واقتنائها ، والوقوف على نوادر مسائلها. فكانت داره لذلك ناديا لأهل العلم يتناوبونه من كل جانب للمذاكرة والمحاورة والإفادة والاستفادة. وقد كان رحمه الله شديد الاهتمام بالعالم الإسلامي والأمم الإسلامية لحد لا يوصف، فتراه دائما مستطلعا طلع أخبارهم، متسائلا عن أحوالهم وأطوارهم، فكان إذا سمع خيرا استبشر وتهلل ، وإن سمع شرا بات بليلة الملسوع يتأسف ويحوقل ، وكان شديد العناية والعطف على أهله وقرابته، كثير الوفاء لأصدقائه وذوي مودته ، وناهيكم بما نكب به في سبيل تمسكه بمودة الصديق الوحيد، والأستاذ الكامل الرشيد، وذلك في أواخر أيام السلطان عبد الحميد، وأما إيتاؤه ذوي القربى واليتامى من أهله فحدث عنه ولا حرج ، فقد كان يلقب نفسه

بأبي العشيرة والقبيلة (رحمه الله) نظراً لكثرة ماكان يهتم للقريب والبعيد عنه من أهله المنتشرة في سورية ومصر وبلاد الله أجمع .

« ولولا تعهده اياي مدة اليتم في الصغر ورأيه تكيتي السياسية في دور الشباب لهلكت وأيم الله، ولولا غرسه في نفسي حب الفضيلة والانتحار لأهم . . تمت شكر عاشقا وبكم طروبا

« كان رحمه الله صبورا على اللأواء والضر، وقد خسرت طرابلس بوفاته عنه كريماً، وبارا رحيما، بكاه المسلم وغير المسلم لصلابته في دينه وعلمه وفضله، وثباته العجيب في مبدئه الحق وهو حب الحق ونصرته بكل وسيلة وذريعة، وكثير من المسيحيين النبلاء عندنا يحب له بوجه خاص نظرا لما عرفوه من حريته وشجاعته وصدق وطنيته، ولولا مخافة التطويل لاقمت لكم على ذلك من الدلائل وحسبي مع ذلك أن أقول : ان مجاهرة المرحوم بكل ما كان يعتقد من حق صريح ووقوفه في وجوه الطغاة حتى من كبار رجال الحكومة البائدة في عهد عبد الحميد ومن بعده من حساده أو مواطنيه المسيحيين على اختلاف طبقاتهم بالتدين وبطعن لهم أو . . . العامة كل هم بهم شيطان من شياطين الحكومة وطرأ عليهم حادث من حوادث يطرأ على الامة — قد عرفهم بكثير من مزايا الاسلام وفضل علمائه العاملين . . . . »

(ويلي هذا كلام قطعه المراقب من المكتب)

مودة المترجم وولايته لصاحب المنار

كان بين آل بيتنا وبين الرافعية في طرابلس مودة ورثها الاب عن الجد، ولكنها مع بعض الافراد أقوى من بعض، فكان الشيخ عبد الغني أحب شيوخهم الى والدي ونجله المترجم أحب شبانهم اليه، لذلك كنت منذ الشروع في طلب العلم أتردد عليه وأحب مذاكرته، على شدة اعراضي عن معاشرة الناس، محافظة على سلامة الفطرة والاخلاق، وقد وجدته أقرب المشتغلين بالعلم الى ذوقي لحبه التصوف وعنايته بكتبه، وكنت لاأعرف من كتب الصوفية إلا إحياء العلوم للغزالي رحمه الله تعالى فشوقني الى كتب الشعراني وكان مغرما بها وأعارني المنن والعهود الكبرى والطبقات فألفيتها دون الاحياء فكنت أعرف منها وأنكر، وكنت أحضر

في بعض الاوقات دروس مطالعته الخاصة التي بينتها من قبل وألقي السمع الى بعض المسائل في الكلام والاصول فاذا فهمتها ذكرت له ولرفيقه رأيي في الخلاف فيها، فاذا تبين له بعد البحث ومقابلة الدلائل ان ماقلته هو الراجح قال لي من أين جئت بهذا الرأي ؟ - وأنت لم تحضر درسا واحدا في هذا الفن ولا سمعت هذه المسألة وأمثالها من قبل - فكنت أقول له انني رجعت الى نفسي فوجدتها لاتعقل الحق الا فيما قلته ، أو معنى هذا ما معناه ، ولما تكرر ذلك صار يبتدئني أحيانا بالسؤال فيذكر مسألة مشكلة ويقول بعد بيان الخلاف فيها ارجع الى نفسك واذكر لي حكمها فيها

كان هذا مبدأ حسن ظن المترجم بأخيه في الله ، ثم نمى الاعتقاد ، كما ينمي في البدن الخضاب ، حتى انتهى فيه أخيرا الى رأي العالم الناسك الشهير الشيخ عبد الغني الرافعي ، اذ كان يقول ان علم فلان لدني ، فان مثل هذا لا يأتي بالتحصيل الكسبي ، فكان المترجم أحسن الله ثوابه وليا ونصيرا لي منذ أقدمت على الدعوة الى الاصلاح الديني المدني بعد صب آماله الى ان توفاه الله تعالى اليه كما أشار الى ذلك أخوه فيما رويناه عنه آنفا

ولا مندوحة لي عن ذكر بعض الاشتغالات هنا على ذلك لانها من أهم مايكتب في ترجمة الرجل من حيث هو ركن من أركان النهضة الاسلامية الحديثة في طرابلس:

دعاني بعض اخواننا مرة الى حضور حفلة الذكر السنوية الأولى للمولوية في طرابلس ويسمونها المقابلة ولم أكن رأيتها قبل ذلك ولا رأيتها بعده، فذهبنا بعد صلاة الجمعة الى تكيتهم في وادي نهر أبي علي جنوبي القلعة، وانه لواد وسيم، صح فيه الماء واعتل النسيم ، وانها فيه لدار من أجمل الديار ، في جنات تجري من تحتها الانهار ، وقد أمها في ذلك اليوم خلق كثير من العلماء والوجهاء وسائر الطبقات فجلسنا مع أمثال النظارة المتفرجين في مصطبة (كشك) تجاه مكان المقابلة فرأينا شيخ المولوية جالسا على جلد من جلود الضأن أو المعز، ورأينا جماعة الذاكرين بل الراقصين منهم وقوفا لابسين ملابس رقصهم المعروفة عند أكثر الناس في كل بلد وجد فيه ورأيناهم يقبلون على شيخهم الجالس يحيونه بالركوع وتنكيس الرقبة وسمعنا الموقعين بالناي يعزفون لهم في موضع معين من تلك (الحضرة) وتخيل الي الآن انه كان هنالك معازف

أخرى – فلما رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت أخذتني سورة الغضب لله، ورأيت – والقوم كلهم سكوت مقرّون لذلك – أنه تعين عليّ القيام بفريضة الامر بالمعروف والنهي المنكر، فوقفت في وسط النظارة وبينت لهم ان هذه بدع ومنكرات شر ما فيها انها جعلت من الدين والدين بريء منها الخ وأمرت الناس بالخروج لان إقرار المنكر كفعله وخرجت، ولم ينبس أحد من الناس بكلمة استحسان ولا استهجان، ولما بعدت عن المكان قليلا نظرت ورائي فوجدت اناسا يتبعونني ولكنهم قليل بالنسبة لمن بقي

كان هذا الانكار مثارا للعجب في طرابلس الشام وصار حديث الناس في أنديتهم وسمارهم وملاهيهم، وهم بين مستحسن ومستهجن ومعترض ومجيب، وكنت أرى ان أقوى المؤيدين لي والمدافعين عني صاحب الترجمة على شدة أدبه مع جميع المنتسبين الى طرق التصوف وتأثره ببعض خرافات كتب الشعراني. ومن العجائب ان استاذي الشيخ حسينا الجسر وصديقه وصديق والدي الشيخ عبدالله البركة من العلماء كانا من المنكرين علي الناصحين لي بالسكوت عن مثل هذه الامور، فقد دعاني معهم في تلك الايام ابراهيم افندي السبع الى طعام أعده لنا في بستان، وهو ما يسميه أهل طرابلس بالسيران، وهناك سألني الشيخان عن حقيقة ما يتحدث به الناس في تلك الحادثة، فنصصت القول على غره، فصار شيخنا يدافع عن المولوية، بمثل ما يؤثر في الكتب من الدفاع عن الصوفية، وأنا أحتج بالسنة ونصوص الشرع، حتى قال متبرما: ان مذهبنا (يعني الحنفي) أشد من مذهبكم (يعني الشافعي) في تحريم السماع والمعازف ولكن الصوفية لهم حالة أخرى مع الله واني أخاف عليك من عاقبة الخوض فيهم والطعن عليهم. قلت له ان هؤلاء القوم ليسوا من الصوفية في شيء حتى يسلم لهم بأن لهم اجتهادا وأحوالا تعرض لهم في بعض الاوقات يعذرون فيها بما لا يعذر به غيرهم. قال فما بالك تخص هؤلاء بالانكار وتسكت عن مرتكبي المعاصي الصريحة التي لا تأويل لها فان من الناس من يشرب الخمر ومن يلعب بالقمار؟ قلت اني لم أر من هؤلاء أحداء على أن حالهم أهون من حال من يجعل البدع والمنكرات دينا. قال لك الحق من الجهة الشرعية وقد بينت لك رأيي وبذلت نصحي، فاختر لنفسك ما يحلو، أو ما هذا معناه (للترجمة بقية)

قرار المؤتمر السوري العام

وعدنا في مقال (المسألة السورية والاحزاب) بأن ننشر نص قرار المؤتمر السوري الذي قدمه للجنة الاستفتاء الدولية وهذا هو النص العربي الاصلي الذي قدمت ترجمته بالانكليزية :

« نحن الموقعين أدناه بامضاءاتنا وأسمائنا أعضاء المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق الشام والمؤلف من مندوبي جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية الحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين . وقد قررنا في جلستنا المنعقدة في نهار الاربعاء المصادف لتاريخ ٢ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ وضع هذه اللائحة المبينة لرغبات سكان البلاد الذين انتدبونا ورفعها الى الوفد الامريكي المحترم من اللجنة الدولية

(أولا) اننا نطلب الاستقلال التام الناجز للبلاد السورية التي يحدها شمالاً جبال طوروس وجنوباً رفح فالخط المار من جنوب الجوف الى جنوب العقبة الشامية والعقبة الحجازية وشرقاً نهر الفرات فالخابور والخط الممتد شرقي أبي كمال الى شرقي الجوف وغرباً البحر المتوسط بدون حماية ولا وصاية

ثانيا — اننا نطلب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية مدنية نيابية تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة وتحفظ فيها حقوق الاقليات على أن يكون ملك هذه البلاد الامير فيصل الذي جاهد في سبيل تحرير هذه الامة جهاداً استحق به أن نضع تمام الثقة بشخصه وأن نجاهر بالاعتماد التام على سموه

ثالثا — حيث إن الشعب العربي الساكن في البلاد السورية هو شعب لا يقل رقياً من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية وليس هو في حالة أحط من حالات شعوب البلغار والصرب واليونان ورومانيا في مبدإ استقلالها فاننا نحتج على المادة الثانية والعشرين الواردة في عهد جمعية الامم القاضية بادخال بلادنا في عداد الامم المتوسطة التي تحتاج الى دولة منتدبة

رابعا — اذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الاحتجاج العادل لاعتبارات لا نعلم كنهها فاننا بعد ما أعلن الرئيس ولسن ان القصد من دخوله في الحرب هو القضاء

على فكرة الفتح والاستعمار نعتبر مسئلة الانتداب الواردة في عهد جمعية الامم عبارة عن مساعدة فنية واقتصادية لا تمس باستقلالنا السياسي التام . وحيث اننا لا نريد أن تقع بلادنا في أخطار الاستعمار وحيث أننا نعتقد أن الشعب الاميركي هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار وانه ليس له مطامع سياسية في بلادنا فاننا نطلب هذه المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة الاميركية على أن لا تمس هذه المساعدة باستقلال البلاد السياسي التام ووحدتها وعلى أن لا يزيد أمد هذه المساعدة عن عشرين عاما

خامسا — اذا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه المساعدة منها فاننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى على أن لا تمس باستقلال بلادنا السياسي التام ووحدتها وعلى أن لا يزيد أمدها عن المدة المذكورة في المادة الرابعة

سادسا — اننا لا نعترف بأي حق تدعيه الدولة الافرنسية في أي بقعة كانت من بلادنا السورية ونرفض أن يكون لها مساعدة أو يد في بلادنا بأي حال من الاحوال

سابعا — اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية أي فلسطين وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أي قسم من بلادنا لانه ليس لهم فيها أدنى حق ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي . أما سكان البلاد الاصليون من اخواننا الموسويين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا

ثامنا — اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها لبنان عن القطر السوري ونطلب أن تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان

تاسعا — اننا نطلب الاستقلال التام للقطر العراقي المحرر ونطلب عدم ايجاد حواجز اقتصادية بين القطرين

عاشرا — ان القاعدة الاساسية من قواعد الرئيس ولسن التي تقضي بلغو المعاهدات السرية تجعلنا نحتج أشد الاحتجاج على كل معاهدة تقضي بتجزئة

بلادنا السورية أو كل وعد خصوصي يرمي الى تمكين الصهيونيين من القسم الجنوبي من بلادنا ونطلب أن تلغى تلك المعاهدات والوعود بأي حال كان

هذا وان المبادئ الشريفة التي صرح بها الرئيس ويلسون لتجعلنا واثقين كل الثقة في أن رغائبنا هذه الصادرة من أعماق القلوب ستكون هي الحكم القطعي في تقرير مصيرنا وان الرئيس ويلسن والشعب الاميركي الحر سيكون لنا عونا على تحقيقها فيثبتون للملإ مصداق مبادئهم السامية وغاياتهم الشريفة نحو البشرية بنوع عام وشعبنا العربي بنوع خاص وان لنا الثقة الكبرى في أن مؤتمر السلم يلاحظ أننا لم نثر على الدولة التركية التي كنا وإياها شركاء في جميع الحقوق التمثيلية والمدنية والسياسية الا لانها تحاملت على حقوقنا القومية فيحقق لنا رغائبنا بتمامها فلا تكون حقوقنا قبل الحرب أقل منها بعد الحرب بعد أن أرقنا من الدماء ما أرقناه في سبيل الحرية والاستقلال، ونطلب السماح لنا بارسال وفد يمثلنا في مؤتمر السلام للدفاع عن حقوقنا الثابتة تحقيقا لرغائبنا والسلام له

الدولة العثمانية بعد الهدنة

اشترط دول الحلفاء في مهادنة الدولة العثمانية ان يكون لهم الحق في احتلال جيوشهم للبلاد والمواقع العسكرية التي يتوقف تنفيذ شروط الهدنة على احتلالها كتأمين تسريح الجيش واعادة الاسرى ، وجعلوا هذا الشرط وسيلة لاحتلال كاد يكون عاما شاملا لجميع الولايات التركية بعد احتلوا جميع الولايات العربية في سورية والعراق. ومن البديهي ان هذا الاحتلال يمكنهم من تسريح جميع الجنود العثمانية الا ما يراه الحلفاء نافعا لهم في حفظ الامن تحت ادارتهم كالشرطة وأعوانها ومن جمع السلاح بحيث يكون تقسيم البلاد بينهم سهلا سائغا لا مشقة فيه ولا خسارة ، ولم يكتفوا بجعل هذا الاحتلال لجيوش الدول الكبرى الظافرة بل انتهوا في اذلال الدولة والشعب التركي الى الاذن لجيش من اليونان ان يحتل ولاية أزمير أهم الولايات التركية بعد ولاية الآستانة فطفق هؤلاء يستذلون أهلها فكانت هذه النكاية حافزة للترك الى الخروج مما خنعوا له أولا من احتلال الآستانة وغيرها فهاجت الآستانة وماجت واجتمع

مئات الالوف في الميدان الفسيح بين مسجد أياصوفيا ومسجد السلطان أحمد واحتجوا أشد الاحتجاج على عمل الحلفاء، واحتج السلطان محمد وحيد الدين نفسه عليه بأن أعلن الاستقالة من الخلافة والسلطنة، وأبى ولي عهده ان يقبل المبايعة لنفسه فاضطر السلطان الى البقاء في دسته، وتألفت العصابات المسلحة في ولاية أزمير وغيرها من الاناضول لقتال اليونان فحملتهم خسائر عظيمة . ثم عزم الترك في الاناضول على مقاتلة كل جيش يحتل بلادهم أو يجعلها تحت حماية أجنبية وهو المتبادر من عمل أوربة . وفر أنور باشا وغيره من الضباط الى القوقاز فتولوا تأليف العصابات لقتال الانكليز الذين احتلوا بعض تلك البلاد، والمساعدة على نشر البلشفية في أمم الشرق الاسلامية

بهذه العصابات التي ينتمي أكثر قوادها الى جمعية الاتحاد والترقي التي لم تدع في الجيش أحدا من غير رجالها اذا قيمة أخذت الجمعية تبني لها مجدا جديدا في البلاد بعد ان ظن أكثر الناس انه قضي عليها بسوء عاقبة الحرب التي أهلكت بها الدولة والامة، وبما تلا الهدنة من فرار أكبر زعمائها واعتقال الباقين، وبما للسلطان محمد وحيد الدين الذي كان يمقتها أشد المقت من النفوذ الخاص الذي يعرفه له أهل المكانة من الترك وغيرهم حتى وصفه عربي وجيه كان مقيما في الآستانة وعرفه حق المعرفة بقوله : انه جمع بين ديانة أبيه عبد المجيد وشجاعة عمه عبد العزيز ودهاء أخيه عبد الحميد وقال عربي آخر مختبر ان مشربه تجديد حياة الدولة بالمحافظة على مكانتها الاسلامية والعناية بالترقي المدني وابطال التقاليد الضارة . ويرى العارفون بشؤون الدولة الآن انه راض في الباطن من مؤسسي العصابات كمصطفى كمال باشا وغيره وان كانوا غير خاضعين لحكومة الآستانة الخاضعة لاحتلال الحلفاء .

فالحرب الآن في الاناضول مستعرة ترسية ، ونيران الفتن في البلقان مستورة برماد دقيق تنكشف من تحته تارة بعد أخرى ، وجميع أمم الارض مضطربة جائعة ، وسبب ذلك كله وغر الصلح الاعرج الاعشى ، الذي اكتفى حقد الصلح مع ألمانية ليقيدها بقيود تمكنه من التصرف في سائر الامم كما يهوى ، ومساعدة الله لجمعيها لم يظهر رضاه عنها أحد الا الحكومة الانكليزية الواضعة لها ، ولا يعلم عاقبة ذلك أحد الا الله تعالى ، فنسأله سبحانه اللطف بعباده المهضومي الحقوق والاذالة لهم من ظالميهم الطامعين آمين